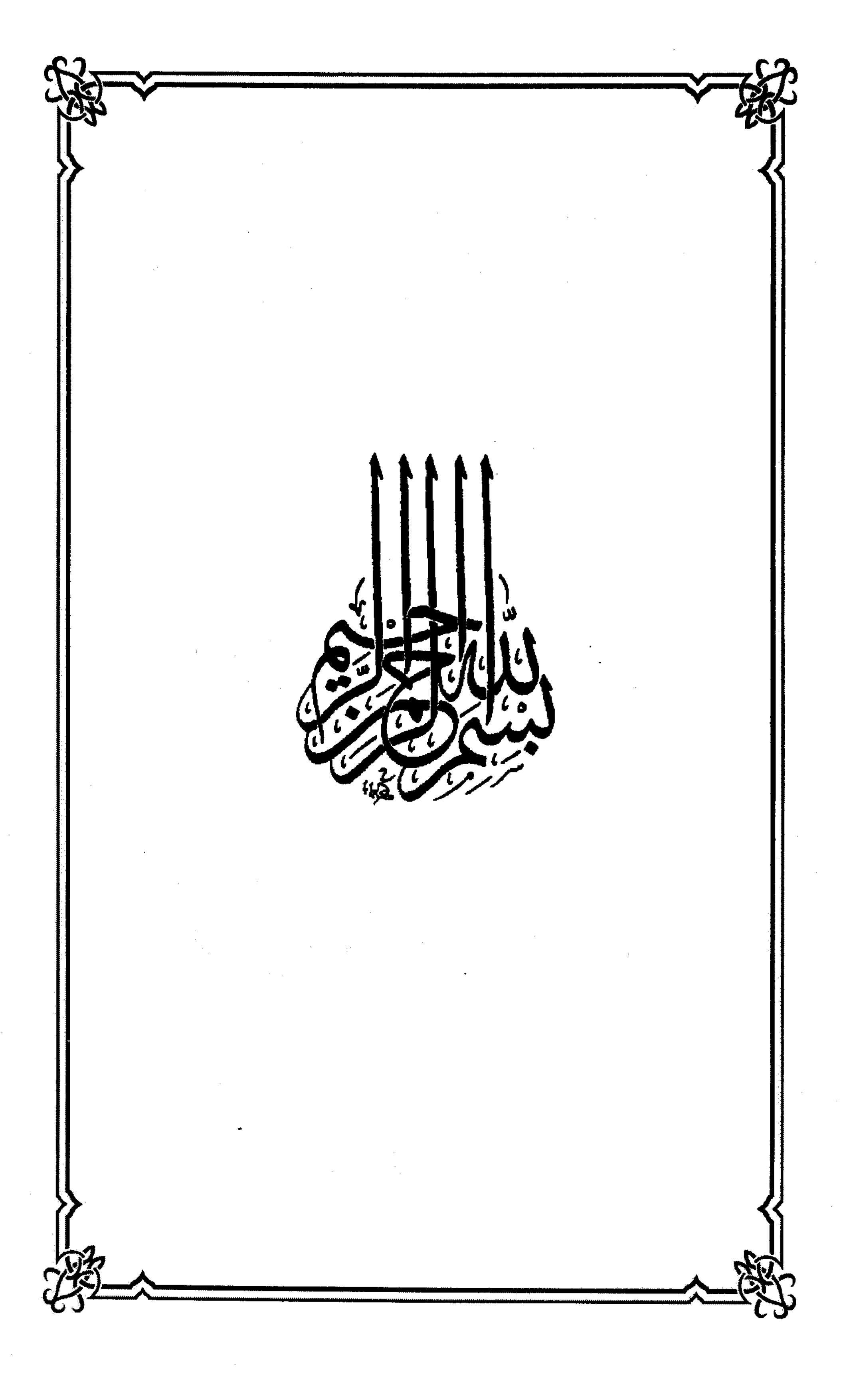
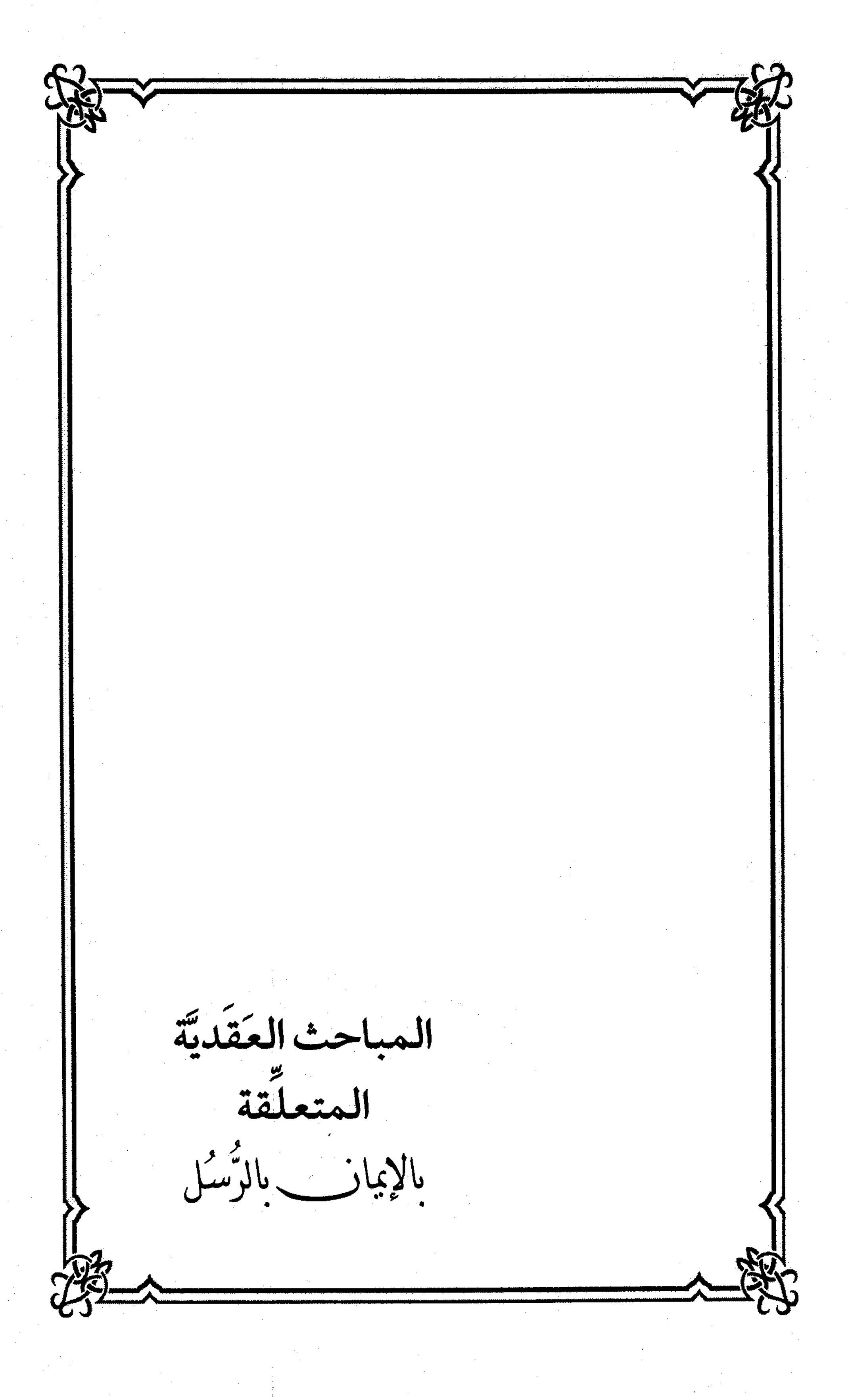
المباحث العَقَديَّة المتعلِّقة بالإيمان بالرُّسُل

تأليف

أحمد بن محمد بن الصادق النجار




بسم الله الرحمن الرحيم



المباحث العَقَديَّة المتعلِّقة بالإيمان بالرُّسُل

ح أحمد بن محمد النجار، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النجار. أحمد محمد

المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسل/ أحمد محمد النجار- المدينة المنورة، ١٤٣٢هـ

ص ٢٤ سم

ردمك: ٧-٨٨٢٨-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١-العقيدة الإسلامية ٢- النبوات. العنوان

ديوي ٢٤٣ ١٤٣٢/١٠٧٠٥

رقم الإيداع ١٤٣٢/١٠٧٠٥

ردمك: ٧-٨٨٢٨-٠٠-٦٠٣-٩٧٨



المملكة العربية السعودية - المدينة النبوية - أمام البوابة الجنوبية للجامعة الإسلامية

تلفاكس / ٠٠٩٦٦٤٨٤٧٠٧٠٨ جوال / ٠٠٩٦٦٥٩٥٩٨٢٠٤٦

البريد الإلكتروني : daralnasihaa@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أشرف العلوم ما تعلقت بالله سبحانه، وأحكامه وشرائعه، ولا سعادة للإنسان إلا بمعرفتها والإيمان بها.

والعقول البشرية مهما ترقَّت، فإنها لا يمكن لها أن تستقل بمعرفة المغيبات التي امتحن الله الناس بها.

كما أنه لا يمكنها معرفة ما يَستحِقُّهُ اللهُ مِن أسمائِهِ الحسنىٰ وصفاتِهِ العليا التي تَعجَزُ العُقُولُ عَنْ مَعرِفَتِها ، ولا معرفة تفاصيل الشريعة، وما يحبه الله من الأعمال، وما يبغضه، ولا ما أعده الله لأوليائه، وما جهزه من العذاب لأعدائه علىٰ التفصيل.

وإنما مدار معرفة ذلك كله علىٰ ما جاءت به الرسل، فصلاح العِباد متوقف علىٰ الرسل وما جاءت به، فمن حُجب عن هذا كان لا فرق بينه وبين السباع والبهائم، والعياذ بالله.

فالله سبحانه هو المنعم بإرسال الرسل، وحاجة البشر إلىٰ الرسل أعظم من حاجتهم إلىٰ الطعام والشراب؛ إذ إن الطعام والشراب إذا فات انقطعت حياتهم فقط، أما ما جاءت به الرسل إذا فات خسروا الدنيا والآخرة، وعاشت قلوبهم في ضنك وقلق.

والله سبحانه قد أرسل الرسل فقطع بهم العذر، وأقام بهم الحجة، فما من خير يعلمونه لأممهم إلا ودلوهم عليه، وما من شر يعلمونه لأممهم إلا وحذروهم منه، فما ماتوا إلا وقد تركوهم علىٰ البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك.

فالإيمان بالرسل من أهم مسائل الاعتقاد؛ وذلك لكونه أحد أصول الإيمان وأركانه، التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، ولكون الرسل هم الواسطة بين الله والمكلفين، فهم الذين يبلغون كلام الله سبحانه، ووحيه، وتنزيله.

وقد ضل في هذا الباب فرق المتكلمين وغيرهم، فلم يحققوا الإيمان بالرسل علىٰ الوجه الصحيح الذي جاء بيانه في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، ولبسوا علىٰ بعض الناس، وضللوهم.

وفي هذا البحث[1] استعرضت المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسل مبينا مذهب أئمة السلف فيها، المبني علىٰ الكتاب والسنة، والموافق للفطرة التي فطر الله عليها عباده، ومبينا أيضا مذاهب المتكلمين وغيرهم، المبني علىٰ مجرد عقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، وأذواقهم الباطلة.

وقد جاء الكلام عن الإيمان بالرسل في تسعة مباحث:

- **المبحث الأول:** معنىٰ الرسل والأنبياء والفرق بينهما.
- **المبحث الثاني:** وظائف الرسل.
- **المبحث الثالث:** منزلة الإيمان بالرسل من الإيمان.
- **المبحث الرابع:** الإيمان بالرسل مجمل ومفصل.

---

(١) أصل هذا البحث محاضرات ألقيتها في كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، لما أسند إليَّ التدريس بها؛ وذلك في عام ١٤٣٢هـ.

- **المبحث الخامس:** أسماء الرسل وعددهم.
- **المبحث السادس:** خصائص الرسل.
- **المبحث السابع:** خصائص النبي ﷺ.
- **المبحث الثامن:** دلائل النبوة.
- **المبحث التاسع:** تنبيه علىٰ بعض المسائل المتعلقة بالرسل.

وأسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه، وينفع به المسلمين.

كتبه

أحمد محمد النجار

في مدينة رسول الله ﷺ

٢٢/ ٢/ ١٤٣٢هـ



المبحث الأول
معنى الرسل والأنبياء، والفرق بينهما

• **أولًا: معنىٰ الرسل:**

الرسل لغة: جمع رسول، وهو فعول بمعنىٰ مفعول، أي: مرسَل.

فمعناه في اللغة يدور علىٰ المبعوث لإبلاغ شيء[1].

وسمي الرسول رسولًا: لأنه ذو رسالة. والرسول: اسم من أرسلت[2].

ولفظ الرسول إنما قيل في الأصل: مضافًا إلىٰ الله، فيقال: رسول الله، ثم عرف باللام، فكانت اللام تعاقب الإضافة[3].

الرسل شرعًا: من أوحي إليهم شرع من عند الله؛ لتبليغه.

قال ابن جرير الطبري: «رسل الله: الذين ابتعثهم لإنباء ما أرسلهم به عنه لمن أرسلوا إليه»[4].

وأما الأنبياء فهو جمع نبي، والنبي: قيل مأخوذ من النبأ؛ لأن النبي هو الذي أنبأ عن الله، والمنبئ: المخبر[5].

وقيل: مأخوذ من النبوة والنباوة، وهي الارتفاع؛ لارتفاع قدر النبي،

---

(1) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (2/ 392).

(2) انظر: لسان العرب لابن منظور (11/ 284).

(3) انظر: النبوات (2/ 826).

(4) تفسير الطبري (2/ 140).

(5) انظر: مجمل اللغة لابن فارس (1/ 853) ولسان العرب لابن منظور (15/ 302).

ولأنه شُرِّف علىٰ سائر الخلق، فأصله غير الهمز، وهو فعيل بمعنىٰ مفعول، والجمع أنبياء.

وهذا المعنىٰ داخل في الأول، فمن أنبأه الله، وجعله منبئا، فلا يكون إلا رفيع القدر، عليَّ المنزلة[(١)].

قال ابن جرير الطبري في بيان اشتقاق النبي: « «نبي»، غير مهموز، وأصله الهمز، لأنه من «أنبأ عن الله فهو ينبئ عنه إنباء»، وإنما الاسم منه، «منبئ» ولكنه صرف وهو «مفعل» إلىٰ «فعيل»، كما صرف «سميع» إلىٰ «فعيل» من «مسمع»، و«بصير» من «مبصر»، وأشباه ذلك، وأبدل مكان الهمزة من «النبيء» الياء، فقيل: «نبي».

هذا ويجمع «النبي» أيضًا علىٰ «أنبياء»، وإنما جمعوه كذلك، لإلحاقهم «النبيء»، بإبدال الهمزة منه ياء، بالنعوت التي تأتي علىٰ تقدير «فعيل» من ذوات الياء والواو. وذلك أنهم إذا جمعوا ما كان من النعوت علىٰ تقدير «فعيل» من ذوات الياء والواو، جمعوه علىٰ «أفعلاء» كقولهم: «ولي وأولياء»، و«وصي وأوصياء»، و«دعي وأدعياء». ولو جمعوه علىٰ أصله الذي هو أصله، وعلىٰ أن الواحد «نبيء» مهموز، لجمعوه علىٰ «فعلاء»، فقيل لهم «النبآء»، علىٰ مثال «النبهاء»؛ لأن ذلك جمع ما كان علىٰ فعيل من غير ذوات الياء والواو من النعوت، كجمعهم الشريك شركاء، والعليم علماء، والحكيم حكماء، وما أشبه ذلك»[(٢)].

هذا من جهة الاشتقاق.

* * *

---

(١) انظر: النبوات (٣/ ١٠٧٩).

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (٢/ ١٤٠).

• ثانيًا: الفرق بين النبي والرسول:

اتفق العلماء على التغاير بين الرسول والنبي من جهة المعنى، وأن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، فالرسالة أعم من جهة نفسها، أخص من جهة أهلها.

والنبوة داخلة في الرسالة دون العكس، فالرسالة متضمنة للنبوة، بخلاف النبوة.

ومن الأدلة على التغاير بين الرسول والنبي:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢].

فقد دلت هذه الآية على أن الرسول غير النبي؛ وذلك أن الله عطف بينهما بحرف الواو، والأصل في العطف أنه للمغايرة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥١].

فقد وصف الله موسى بأنه رسول نبي، فتكرارهما يدل على اختلاف معناهما.

وخالف في ذلك المعتزلة، فلم يفرقوا بين الرسول والنبي؛ قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: «فاعلم أنه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبي»[1]

لكن لم تكن كلمة المعتزلة متفقة على عدم التفريق؛ وذلك أن الزمخشري المعتزلي خالفهم، فقال عند كلامه على قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾: «﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ دليل بين على تغاير الرسول والنبي»[2].

---

(١) شرح الأصول الخمسة (ص٥٦٧).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ١٦٤).

• **وهاهنا سؤال: إذا كان هناك تغاير بين النبي والرسول، فما الفرق بينهما؟**

اختلف أهل العلم علىٰ أقوال:

القول الأول: الرسول: هو الذي أوحي إليه وحي وأمر بتبليغه. والنبي: هو الذي أوحي إليه ولم يؤمر بتبليغه.

قال مجاهد: «النبيّ وحده الذي يكلم وينزل عليه الوحي ولا يرسل» (١).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وقد ذكروا فروقًا بين النبي والرسول، وأحسنها: أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول» (٢).

وقد اعترض علىٰ هذا التفريق: أن الأنبياء -صلوات الله عليهم- فيهم مرسلون، وفيهم غير مرسلين.

والدليل علىٰ صحة الاعتراض: قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: ٥٢].

فالله سبحانه جعل كلًّا من النبي والرسول مرسلًا، وهذا دليل علىٰ أن النبي مأمور بتبليغ ما أوحي إليه.

ثم إن معنىٰ «نبي» أنبأ عن الله ﷻ، ومعنىٰ أنبأ عن الله ﷻ: الإرسال بعينه (٣).

القول الثاني: الرسول: الذي أرسل إلىٰ الخلق بإرسال جبريل عليه السلام إليه عيانًا، والنبي الذي تكون نبوته إلهاما أو مناما. وهذا القول منسوب للفراء (٤).

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ١٩٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص١٥٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٨٠).

(٤) انظر: تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٨٠).

القول الثالث: الرسول: من أوحي إليه شرع جديد، والنبي هو المبعوث بشرع من قبله.

وقد اعترض علىٰ هذا التفريق: أنه ليس من شرط الرسول أن يأتي بشرع جديد، فإن داود وسليمان كانا رسولين، وكانا علىٰ شريعة التوراة[(١)].

القول الرابع: الرسول من أرسل إلىٰ قوم مخالفين له، والنبي من أرسل إلىٰ قوم موافقين له[(٢)].

القول الخامس: الرسول من أنزل إليه كتاب، وشرع مستقل، مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن النبي هو من لم ينزل عليه كتاب وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلىٰ شريعة رسول قبله[(٣)].

وقد اعترض علىٰ هذا التفريق: أنه ليس من شرط الرسول أن يأتي بشرع جديد، فإن داود وسليمان كانا رسولين، وكانا علىٰ شريعة التوراة.

وأيضا مما يعترض عليه: أن دلائل النبوة ليست محصورة في المعجزة.

ولعل أقرب الأقوال: أن الرسول من أرسل إلىٰ قوم مخالفين له، والنبي من أرسل إلىٰ قوم موافقين له.

لما ثبت في الصحيح - في حديث الشفاعة - عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلىٰ أهل الأرض**»[(٤)].

---

(١) انظر: النبوات (٢/ ٨٦٣).

(٢) ذهب إليه ابن تيمية؛ كما في النبوات (٢/ ٨٥٧).

(٣) قاله علي بن سلطان الملا الهروي القاري في كتابه مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٦٦٩) وذكره الشنقيطي في أضواء البيان (٥/ ٢٩٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٨٥) ح ٤٧١٢.

فنوح أول رسول، وإنما قد بعث إلىٰ قوم مخالفين له.

وأما من قبله كآدم فهو نبي؛ إذ يأتيهم الوحي فيفعلونه، ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم؛ لكونهم مؤمنين بهم.

* * *

المبحث الثاني
وظائف الرسل

إن الله بعث الرسل لغاية عظيمة وحكمة جليلة، وجعل لهم وظائف، ومن تلك الوظائف ما يأتي:

١ - أن الله جعلهم وسائط بينه وبين عباده؛ لتعريفهم به سبحانه، ولتعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم.

وهذه الوظيفة تتضمن إثبات الصفات، والتوحيد، والقدر، وذكر أيام الله في أوليائه، وأعدائه، وهي: القصص التي قصها علىٰ عباده، والأمثال التي ضربها لهم.

قال ابن أبي العز الحنفي: «إذ علىٰ هذه المعرفة تبنىٰ مطالب الرسالة كلها من أولها إلىٰ آخرها»[١]

٢- تعريف العباد الطريق الموصل إلىٰ الله بذكر شريعته سبحانه.

وهذه الوظيفة تتضمن تفصيل الشرائع، والأمر، والنهي، والإباحة، وبيان ما يحبه الله، وما يكرهه.

٣- تعريف العباد بحالهم بعد الوصول إلىٰ الله.

وهذه الوظيفة تتضمن الإيمان باليوم الآخر؛ والجنة والنار؛ والثواب والعقاب[٢].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٦٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٩٧).

قال أبو العباس ابن تيمية: «وعلىٰ هذه الأصول الثلاثة: مدار الخلق، والأمر.

والسعادة والفلاح موقوفة عليها، ولا سبيل إلىٰ معرفتها إلا من جهة الرسل؛ فإن العقل لا يهتدي إلىٰ تفاصيلها ومعرفة حقائقها، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة، كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة إلىٰ الطب ومن يداويه، ولا يهتدي إلىٰ تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه.

وحاجة العبد إلىٰ الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلىٰ الطب؛ فإن آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتًا لا ترجىٰ الحياة معه أبدًا أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبدا»(١)

هذه الأصول العامة في بيان الغاية، والوظائف التي أرسل بها الرسل، ومما يدخل في تلك الأصول:

أن الله بعث الرسل مبشرين لمن أطاعهم بالجنان، منذرين لمن خالفهم بالعذاب والوبال.

قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [يونس: ٧٤].

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام: ٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأحقاف: ٩].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٩٧).

كذلك بعثهم الله لقطع العذر وإقامة الحجة:

قال تعالىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [المائدة: ١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النحل: ٣٥].

* * *

المبحث الثالث
منزلة الإيمان بالرسل من الإيمان

الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان، لا يتم إيمان العبد إلا به، ومن كفر به فقد ضل ضلالًا بعيدًا، ولا يستحق بذلك اسم الإيمان.

قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

فقد أخبر الله في هذه الآيات أن الرسول، ومن تحقق فيهم وصف الإيمان، والصدق يؤمنون بالرسل، ورتب سبحانه علىٰ عدم الإيمان بالرسل وغيرها من أركان الإيمان: الكفر، والضلال البعيد.

وقوله: «رسله» جمع مضاف، والجمع المضاف يفيد العموم، فيدخل في قوله: «رسله» كل رسول بعثه الله.

قال ابن أبي العز الحنفي: «فجعل الله ﷻ الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمىٰ من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ بارزًا يومًا للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث**»[٢].

فقد بين النبي ﷺ في هذا الحديث أن الإيمان مبني علىٰ هذه الأركان، فإذا انتفىٰ منها ركن رجع علىٰ نفي الإيمان نفسه.

والكفر بأحد هذه الأركان يستلزم الكفر بغيره، فمن كفر بالله كفر بالجميع، ومن كفر بالملائكة كفر بالكتب والرسل، فكان كافرًا بالله؛ إذ كذب رسله وكتبه، وكذلك إذا كفر باليوم الآخر كذب الكتب والرسل فكان كافرًا[٣].

كما أن الكفر بالرسل ينافي الإقرار بالرب، فالرسل إنما جاءوا بالتعريف بالرب جل جلاله، فمن أنكر الرسل أنكر الرب الذي دعا إليه الرسل.

ثم إن مما يجب أن يعلم: أن الكفر بنبي واحد كفر بجميع الأنبياء؛ كما قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥].

وقال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان: ٣٧].

فقد جعل الله تكذيبهم لرسولهم الذي أرسل إليهم تكذيب للرسل كلهم.

---

(١) شرح الطحاوية: (ص٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه باب سؤال جبريل النبي ﷺ (١/ ١٩) ح ٥٠.

(٣) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ١٩٣).

ومسك ختام هذا المبحث: أن تسمية الإيمان بالرسل ركن: تسمية اصطلاحية لم تأت النصوص من الكتاب والسنة بتسميته هذه الستة أركانًا، وإنما هي من باب الشرح والإيضاح، وهذا لا بأس به، وعليه درج العلماء.

والركن: داخل في الماهية، ويتوقف وجود الماهية عليه[1].

والإيمان بالرسل -الإيمان المجمل- ركن لا يقوم الإيمان ولا يوجد إلا به مع بقية أركان الإيمان.

وأما الإيمان المفصل فلا يدخل في كونه ركنًا، بل قد يكون واجبًا وقد يكون مستحبا، لكن إذا علمه الإنسان وبلغه يجب أن يؤمن به وإلا كان مكذبًا لله ورسوله ﷺ ويصير بذلك كافرًا.

* * *

(١) انظر: شرح مختصر الروضة للطوفي (٣/ ٢٢٧).

المبحث الرابع
الإيمان بالرسل مجمل ومفصل

الإيمان بالرسل يكون مجملًا ومفصلًا:

أما المجمل: وهو القدر الذي لا يتم إيمان العبد بالرسل إلا به.

وهو الإيمان بكل من بعثه الله من الرسل، وبكل نبي من الأنبياء.

قال تعالىٰ: ﴿فَآمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ [الحديد: ١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

فقد أمر الله بالإيمان بكل من بعثه من رسله، وكذلك الأنبياء،، ويتضح ذلك

في قوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ والأمر يقتضي الوجوب، كما أن قوله: ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ يفيد العموم؛ لأنه جمع مضاف، والجمع المضاف يفيد العموم، فهو شامل لكل رسول أرسله الله.

كما بين سبحانه في الآيات المتقدمة أن من صفات المؤمنين أنهم يؤمنون بالرسل كلهم، ورتب علىٰ من كفر بهم الضلال البعيد، وكونهم من أصحاب الجحيم.

ومما يدخل في الإيمان بالرسل: تصديقهم فيما أخبروا، وإيجاب طاعتهم فيما أوجبوا.

فإن الرسل تضمنت بعثتهم أصلين: الإخبار، والأمر.

والإيمان بهم لا يتم إلا بتصديقهم فيما أخبروا، وإيجاب طاعتهم فيما أوجبوا طاعتهم فيه.

ومما يدخل في الإيمان بالرسل أيضا: الإيمان بجميعهم من غير تفريق بينهم ولا تبعيض.

قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾ [النساء: ١٥٢].

فيجب الإيمان بجميع الرسل الذين بعثهم الله، وكذلك الأنبياء من غير تفريق بينهم في الإيمان، ولا تبعيض، فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض فهو كافر.

قال قتادة: «أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأنبيائه ورسله كلهم، ولا يفرِّقوا بين أحد منهم»(١).

والتفريق والتبعيض في الإيمان بالرسل يكون في القدْر تارة، ويكون في الوصف أخرىٰ.

يكون في القدر: بالإيمان ببعض الرسل والكفر ببعضهم، كما حصل مع أهل الكتاب ، فاليهود يؤمنون بموسىٰ ويكفرون بعيسىٰ عليه السلام وبنبينا ﷺ، وكذلك النصارىٰ يكفرون بنبينا ﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ ﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

فقد نص سبحانه علىٰ كفر من فرق في الإيمان بين الرسل، وبين سبحانه ما أعده لهم من العذاب المهين، فدل ذلك أن التفريق بين الرسل مناف للإيمان بهم.

قال ابن جرير الطبري: «يعني بقوله -جل ثناؤه-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾، من اليهود والنصارىٰ، ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾، بأن يكذبوا رسل الله الذين أرسلهم إلىٰ خلقه بوحيه، ويزعموا أنهم افتروا علىٰ ربهم.

وذلك هو معنىٰ إرادتهم التفريقَ بين الله ورسله، بنِحْلتهم إياهم الكذب والفريةَ علىٰ الله، وادِّعائهم عليهم الأباطيل.

﴿ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ ﴾، يعني أنهم يقولون: «نصدِّق

---

(١) تفسير الطبري (٣/ ١١١).

بهذا ونكذِّب بهذا»، كما فعلت اليهود من تكذيبهم عيسىٰ ومحمدًا -صلىٰ الله عليهما وسلم-، وتصديقهم بموسىٰ وسائر الأنبياء قبله بزعمهم.

وكما فعلت النصارىٰ من تكذيبهم محمدًا ﷺ، وتصديقهم بعيسىٰ وسائر الأنبياء قبله بزعمهم»[1]

وقال: «فقال -جل ثناؤه- لعباده، منبهًا لهم علىٰ ضلالتهم وكفرهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗا﴾، يقول: أيها الناس، هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم، هم أهل الكفر بي، المستحقون عذابي والخلود في ناري حقًّا. فاستيقنوا ذلك، ولا يشككنَّكم في أمرهم انتحالهم الكذب، ودعواهم أنهم يقرُّون بما زعموا أنهم به مقرُّون من الكتب والرسل، فإنهم في دعواهم ما ادعوا من ذلك كَذَبَةٌ.

وذلك أن المؤمن بالكتب والرسل، هو المصدّق بجميع ما في الكتاب الذي يزعم أنه به مصدق، وبما جاء به الرسول الذي يزعم أنه به مؤمن. فأما من صدّق ببعض ذلك وكذَّب ببعض، فهو لنبوة من كذب ببعض ما جاء به جاحد، ومن جحد نبوة نبي فهو به مكذب.

وهؤلاء الذين جحدوا نبوة بعض الأنبياء، وزعموا أنهم مصدقون ببعض، مكذبون من زعموا أنهم به مؤمنون، لتكذيبهم ببعض ما جاءهم به من عند ربهم، فهم بالله وبرسله الذين يزعمون أنهم بهم مصدقون، والذين يزعمون أنهم بهم مكذبون كافرون»[2].

وقال ابن القيم: «وكما أنه لا يكون مؤمنًا حتىٰ يؤمن بجميع الأنبياء، ومن كفر بنبي من الأنبياء فهو كمن كفر بجميعهم.

---

(١) تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (٩/ ٣٥٢).

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (٩/ ٣٥٣).

فكذلك لا يكون مؤمنا حتىٰ يؤمن بجميع ما جاء به الرسول، فإذا آمن ببعضه فهو كمن كفر به كله»(١).

وقد ذكر أبو عبد الله القرطبي أنه إنما كان كفرًا: «لأن الله سبحانه فرض علىٰ الناس أن يعبدوه بما شرع لهم علىٰ ألسنة الرسل، فإذا جحدوا الرسل ردوا عليهم شرائعهم ولم يقبلوها منهم، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمروا بالتزامها، فكان كجحد الصانع سبحانه، وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية. وكذلك التفريق بين رسله في الإيمان بهم كفر»(٢).

وكذلك يدخل في التفريق والتبعيض من جهة القدر: من ادعىٰ أنه مؤمن بالرسول ويتحاكم مع ذلك إلىٰ بعض الطواغيت المعظمة من دون الله إعراضًا، واستكبارًا، أوشكًّا في حكم الرسول وصلاحيته(٣).

قال تعالىٰ: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [النور: ٤٧ - ٤٨].

قال الطبري: «﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وليس قائلو هذه المقالة، يعني قوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ بالمؤمنين؛ لتركهم الاحتكام إلىٰ رسول الله ﷺ وإعراضهم عنه إذا دعوا إليه»(٤).

ومن التحاكم لغير الله: معارضة الرسول ﷺ بعقول الرجال وآرائهم، ثم تقديمها علىٰ ما جاءَ به ﷺ.

---

(١) بدائع الفوائد (٤/ ١٤٩).

(٢) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٥).

(٣) انظر: رسالتي: «الإيمان بالكتب بين إثبات السلف وتعطيل أهل الكلام».

(٤) تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (١٩/ ٢٠٤)

كما عليه أهل الكلام، فنصوص الوحيين عندهم هي ألفاظ ظنية، لا يحتج بها في المسائل العقدية اليقينية إلا إذا سلمت من المعارض العقلي، أما لو تعارض العقل مع نصوص الكتاب والسنة فإنه يجب أن يقدم العقل[1].

قال الرازي: «الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمور عشرة: عصمة رواة مفردات تلك الألفاظ، وصحة إعرابها، وتصريفها، وعدم الاشتراك والمجاز، والتخصيص بالأشخاص والأزمنة، وعدم الإضمار، والتقديم والتأخير، وعدم المعارض العقلي الذي لو كان لرجح؛ إذ ترجيح النقل على العقل يقتضي القدح في العقل المستلزم للقدح في النقل لافتقاره إليه»[2].

وقال الرازي: «فهذا تقرير البحث عن قولنا: التمسك بالدلائل اللفظية في المطالب اليقينية لا يجوز»[3].

وقال الآمدي: «وربما استروح بعض الأصحاب في إثبات السمع والبصر لله تعالى إلى ظواهر واردة في الكتاب والسنة، منها ما يدل على كونه سميعا بصيرا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١]، ومنها ما يدل على نفس السمع والبصر كقوله تعالى ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه: ٤٦] على غير ذلك من الظواهر، وهي غير مفيدة لليقين، ولا خروج لها عن الظن والتخمين.

والتمسك بما هذا شأنه في إثبات الصفات النفسية وما يطلب فيه اليقين ممتنع»[4].

---

(١) انظر: رسالتي «تبصير ذوي العقول بحقيقة مذهب الأشاعرة في الاستدلال بكلام الله والرسول ﷺ».

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين (ص١٤٣).

(٣) المطالب العالية (٩/ ٧٣).

(٤) أبكار الأفكار (١/ ٤١٠).

وقال: «ولعل الخصم قد يتمسك ههنا بظواهر من الكتاب والسنة وأقوال بعض الأئمة، وهي بأسرها ظنية، ولا يسوغ استعمالها في المسائل القطعية، فلهذا آثرنا الإعراض عنها، ولم نشغل الزمان بإيرادها»(١).

وكذلك يدخل في التفريق والتبعيض من جهة القدْر: اعتقاد أن الرسول ﷺ لم يبلغ كل ما بعثه الله به، سواء كان ذلك بلسان المقال أو الحال.

ويدخل في هذا أهل الابتداع، فحقيقة قولهم أن الرسول ﷺ لم يبلغ الشرع كاملًا.

قال ابن الماجشون: سمعت مالكًا يقول: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣] ، فما لم يكن يومئذ دينا، فلا يكون اليوم دينًا»(٢).

وقال أبو إسحاق الشاطبي: «فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله: إن الشريعة لم تتم، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها؛ لأنه لو كان معتقدا لكمالها وتمامها من كل وجه؛ لم يبتدع، ولا استدرك عليها، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم»(٣).

فظهر مما تقدم: أن التفريق والتبعيض من جهة القدْر يكون بأمور:

١- بالإيمان ببعض الرسل والكفر ببعضهم.

٢- من ادعىٰ أنه مؤمن بالرسول ويتحاكم مع ذلك إلىٰ بعض الطواغيت المعظمة من دون الله إعراضًا، واستكبارًا.

---

(١) غاية المرام في علم الكلام (ص٢٠٤).

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٢).

(٣) الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٢).

٣- اعتقاد أن الرسول ﷺ لم يبلغ كل ما بعثه الله به، سواء كان ذلك بلسان المقال أو الحال.

✍ **وأما التفريق والتبعيض من جهة الوصف، فيكون بأمور منها: أن يرفعوا** الأنبياء فوق منازلهم، فيضفوا عليهم خصائص الربوبية والألوهية، كمن زعم أن عيسىٰ ابن الله، وأنه إله من دونه سبحانه.

قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾ [المائدة: ١٧].

قال القرطبي: «فأعلم الله تعالىٰ أن المسيح لو كان إلهًا لقدر علىٰ دفع ما ينزل به أو بغيره، وقد أمات أمه ولم يتمكن من دفع الموت عنها، فلو أهلكه هو أيضا فمن يدفعه عن ذلك أو يرده»[1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقد بين سبحانه أن الرسل بشر:

قال تعالىٰ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ

---

(١) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١١٩).

مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [إبراهيم: ١١].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال تعالىٰ في عيسىٰ عليه السلام: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥].

قال ابن القيم: «وقد تضمنت هذه الحجة دليلين ببطلان إلهية المسيح وأمه:

أحدهما: حاجتهما إلىٰ الطعام والشراب، وضعف بنيتهما عن القيام بنفسهما، بل هي محتاجة فيما يقيمها إلىٰ الغذاء والشراب، والمحتاج إلىٰ غيره لا يكون إلها؛ إذ من لوازم الإله أن يكون غنيا.

الثاني: أن الذي يأكل الطعام يكون منه ما يكون من الإنسان من الفضلات القذرة التي يستحي الإنسان من نفسه وغيره حال انفصالها عنه، بل يستحي من التصريح بذكرها.

ولهذا والله أعلم كنىٰ سبحانه عنها بلازمها من أكل الطعام الذي ينتقل الذهن منه إلىٰ ما يلزمه من هذه الفضلة، فكيف يليق بالرب سبحانه أن يتخذ صاحبة وولدا من هذا الجنس؟»[1].

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٨٢-٤٨٣).

كما بين سبحانه أن الرسل لا يملكون شيئًا من خصائص الربوبية والألوهية، فلا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، فضلًا أن يملكوا ذلك لغيرهم:

قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المائدة: ٧٦].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٨].

وبين أيضًا سبحانه كفر من جعل لهم خصائص الربوبية والألوهية:

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٠].

✍ **ومما يدخل في التفريق والتبعيض من جهة الوصف:** من جعل الأنبياء يعلمون علم الغيب المطلق، وأنهم يملكون الدنيا والآخرة.

كما قال صاحب البردة:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

وهذا مناقض لقوله سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [النمل: ٦٥].

ولقوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠) ﴾ [الأنعام: ٥٠].

ولقوله تعالىٰ: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٥٩) ﴾ [الأنعام: ٥٩].

قال ابن كثير: «يقول تعالىٰ آمرًا رسوله ﷺ أن يقول معلمًا لجميع الخلق: أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب. وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ استثناء منقطع، أي: لا يعلم أحد ذلك إلا الله، ﷻ، فإنه المنفرد بذلك وحده، لا شريك له»(١).

✍ **ومما يدخل في التفريق والتبعيض من جهة الوصف: صرف العبادة للأنبياء والرسل من دون الله.**

والله قد جعلهم عبادًا لا معبودين؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧١) ﴾ [الصافات: ١٧١].

وقد أحبط الله عمل المشرك، بل قال سبحانه مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٦٥) ﴾ الزمر: ٦٥

وحكم سبحانه بالكفر علىٰ كل من دعا غير الله، ولو كان المدعو رسولًا أو ملكًا.

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٠٧).

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧].

✍ **ومما يدخل في التفريق والتبعيض من جهة الوصف**: تنقص الأنبياء والرسل، وسبهم، والاستخفاف بهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦١﴾ [التوبة: ٦١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ٥٧﴾ [الأحزاب: ٥٧].

قال ابن كثير: «يقول تعالىٰ: متهددًا ومتوعدًا من آذاه، بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره علىٰ ذلك، وأذىٰ رسوله بعيب أو تنقص، عياذًا بالله من ذلك»[1].

✍ **فظهر مما تقدم**: أن التفريق والتبعيض من جهة الوصف يكون بأمور:

١- أن يرفعوا الأنبياء فوق منازلهم، فيضفوا عليهم خصائص الربوبية والألوهية.

٢- من جعل الأنبياء تعلم علم الغيب المطلق، وأنهم يملكون الدنيا والآخرة.

٣- صرف العبادة للأنبياء والرسل.

٤- تنقص الأنبياء والرسل، وسبهم، والاستخفاف بهم، وسوء الأدب معهم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٨٠).

فاتضح مما سبق أن التفريق والتبعيض في الإيمان بالرسل يكون من جهة القدْر ويكون من جهة الوصف.

وبعبارة أخرىٰ: قوادح الإيمان بالرسل:

القادح الأول: الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعضهم.

القادح الثاني: من ادعىٰ أنه مؤمن بالرسول ويتحاكم مع ذلك إلىٰ بعض الطواغيت المعظمة من دون الله إعراضًا، واستكبارًا.

القادح الثالث: اعتقاد أن الرسول ﷺ لم يبلغ كل ما بعثه الله به، سواء كان ذلك بلسان المقال أو الحال.

القادح الرابع: أن يرفعوا الأنبياء فوق منازلهم، فيضفوا عليهم خصائص الربوبية والألوهية.

القادح الخامس: من جعل الأنبياء تعلم علم الغيب المطلق، وأنهم يملكون الدنيا والآخرة.

القادح السادس: صرف العبادة للأنبياء والرسل.

القادح السابع: تنقص الأنبياء والرسل، وسبهم، والاستخفاف بهم، وسوء الأدب معهم.

* * *

✍ **وأما الإيمان المفصل**: وهو القدر الذي يكون تبعًا للعلم التفصيلي الذي يبلغ المكلف من نصوص الكتاب والسنة.

وهو يتضمن أمورًا[1]:

١- الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من رسله، كإبراهيم، ونوح، وغيرهم من الأنبياء والرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن.

٢- الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على الوجه الذي أمرهم الله.

٣- الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى.

٤- الإيمان بمحمد ﷺ يكون بالإقرار به واتباع ما جاء به، وهو أمر زائد على الإيمان بغيره من الرسل.

قال محمد بن نصر المروزي: «فأن تؤمن بمن سمى الله في كتابه من رسله، وتؤمن بأن لله سواهم رسلًا وأنبياء، لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم، وتؤمن بمحمد ﷺ، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل، إيمانك بسائر الرسل إقرارك بهم، وإيمانك بمحمد ﷺ إقرارك به وتصديقك إياه، واتباعك ما جاء به، فإذا اتبعت ما جاء به أديت الفرائض، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ووقفت عند الشبهات، وسارعت في الخيرات»[2].

والناس متفاوتون في الإيمان المفصل بحسب ما بلغهم من العلم، فمن آمن بالرسل إيمانا مجملا وآمن بما بلغه من التفاصيل حصل له من كمال الإيمان بحسب ما بلغه.

فمن آمن بالرسل إيمانا مفصلا أكمل إيمانا ممن لم يكن كذلك، وكذلك

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٣١١) وشرح ثلاثة الأصول للشيخ العثيمين (ص٩٤).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٩٣).

ولاية الله تتفاضل، فمن علم التفاصيل كانت ولايته أكمل ممن لم يعلم ذلك.

قال ابن رجب: «وتفسر زيادة المعرفة -أي: معرفة الله بالقلب- بمعنيين:

أحدهما: زيادة المعرفة بتفاصيل أسماء الله وصفاته، وأفعاله، **وأسماء الملائكة**، والنبيين، والكتب المنزلة عليهم، وتفاصيل اليوم الآخر. وهذا ظاهر لا يقبل نزاعا.

والثاني: زيادة المعرفة بالوحدانية بزيادة معرفة أدلتها، فإن أدلتها لا تحصر، إذ كل ذرة من الكون فيها دلالة علىٰ وجود الخالق ووحدانيته، فمن كثرت معرفته بهذه الأدلة زادت معرفته علىٰ من ليس كذلك. وكذلك المعرفة بالنبوات، واليوم الآخر، والقدر، وغير ذلك من الغيب الذي يجب الإيمان به.

ومن هنا فرق النبي ﷺ بين مقام الإيمان ومقام الإحسان، وجعل مقام الإحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه، والمراد: أن ينور قلبه بنور الإيمان حتىٰ يصير الغيب عنده مشهودا بقلبه كالعيان»(١)

والإيمان بالرسل يكون بالاعتقاد والقول والعمل.

أما بالاعتقاد فيكون بالإقرار بأن هؤلاء الرسل أرسلوا من عند الله، وأنهم ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، واعتقاد أنهم بلغوا ما أرسلوا به إلىٰ غير ذلك مما يتعلق بالاعتقاد.

وأما بالقول؛ فيكون بالإقرار بهم، والنطق بما جاء به القرآن من ذكرهم، وغير ذلك.

وأما بالعمل فيكون بالعمل بما جاء به النبي ﷺ وحده: لأنه ﷺ نسخ ما جاءت به الرسل قبله، وقد دخل فيما جاءت به الرسل قبله التبديل والتحريف.

---

(١) فتح الباريء لابن رجب (١/ ٩-١٠).

أما أهل الكلام فيحصرون معنىٰ الإيمان في التصديق، فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله هو مجرد التصديق بهم[١].

وقولهم هذا: مخالف لدلالة نصوص الكتاب والسنة، ومخالف أيضا لإجماع السلف الصالح من الصحابة ومن اتبعهم بإحسان[٢].

* * *

(١) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للباقلاني(ص٥٢) والإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني(ص٣٩٧) و محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي (ص٢٣٧).

(٢) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٥/ ٩٥٦) (٥/ ٩٥٩) (١/ ٢٠٦)و التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (٩/ ٢٣٨).

المبحث الخامس
أسماء الرسل وعددهم

• **أولًا: أسماء الرسل:**

إن نصوص الكتاب والسنة قد وردت بذكر بعض أسماء الرسل الذين بعثهم الله، وقد بلغ عدد مَن ذُكر اسمه منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيا ورسولا، ومن هذه الأدلة التي ذكرت أسماء الرسل والأنبياء ما يأتي:

جمع الله في سورة واحدة ثمانية عشر رسولًا ونبيًّا؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٦].

وفي سورة النساء ثلاثة عشر نبيًّا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء: ١٦٣].

وأما بقية الخمسة وعشرين فقد جاء ذكرهم في القرآن متفرقًا:

قال تعالىٰ: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [البقرة: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠)﴾ [هود: ٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٦)﴾ [مريم: ٥٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥)﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

فأسماء الرسل والأنبياء الواردة في القرآن: آدم، ونوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وداود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسىٰ، وهارون، وزكرياء، ويحيىٰ، وعيسىٰ، وإلياس، واليسع، وإدريس، ويونس، ولوط، ، وهود، وصالح، وشعيب، وذو الكفل، ومحمد، عليهم الصلاة والسلام.

والأسباط هم: الأنبياء من ولد يعقوب(١).

واحدهم سبط، والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل.

وسموا الأسباط: من السبط وهو التتابع، فهم جماعة متتابعون.

وقيل: أصله من السبَط بالتحريك وهو الشجر، أي هم في الكثرة بمنزلة الشجر، الواحدة سبطة(٢).

---

(١) انظر: تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (٣/ ١٠٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٤١).

والذي يدل عليه القرآن أن إخوة يوسف ليسوا بأنبياء.

قال ابن تيمية: «فإنه لا يعرف أنه كان فيهم - أي: بني إسرائيل - قبل موسىٰ إلا يوسف. ومما يؤيد هذا أن الله تعالىٰ لما ذكر الأنبياء من ذرية إبراهيم قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾ [الأنعام: ٨٤] فذكر يوسف ومن معه، ولم يذكر الأسباط، فلو كان إخوة يوسف نبئوا كما نبئ يوسف لذكروا معه»[١].

وقال ابن كثير: «واعلم أنه لم يقم دليل علىٰ نبوة إخوة يوسف، وظاهر هذا السياق يدل علىٰ خلاف ذلك.

ومن الناس من يزعم أنهم أوحي إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر، ويحتاج مدعي ذلك إلىٰ دليل، ولم يذكروا سوىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وهذا فيه احتمال؛ لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم: الأسباط، كما يقال للعرب: قبائل، وللعجم: شعوب؛ يذكر تعالىٰ أنه أوحىٰ إلىٰ الأنبياء من أسباط بني إسرائيل، فذكرهم إجمالًا لأنهم كثيرون، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف، ولم يقم دليل علىٰ أعيان هؤلاء أنهم أوحي إليهم، والله أعلم»[٢].

وقد أضافت السنة علىٰ ما ذكره القرآن من الأنبياء: يوشع بن نون؛ كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها؟**

---

(١) جامع المسائل (٣/ ٢٩٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم(٤/ ٣٧٢)

ولما يبن بها، ولا أحد بنىٰ بيوتًا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترىٰ غنمًا أو خلفات وهو ينتظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا، فحبست حتىٰ فتح الله عليه، فجمع الغنائم، فجاءت يعني النار لتأكلها، فلم تطعمها فقال: إن فيكم غلولًا، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فليبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعوها، فجاءت النار، فأكلتها ثم أحل الله لنا الغنائم رأىٰ ضعفنا، وعجزنا فأحلها لنا»[1]

وهذا النبي هو يوشع بن نون؛ فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس لم تحبس علىٰ بشر إلا ليوشع ليالي سار إلىٰ بيت المقدس»[2]

* * *

✍ وهاهنا مسألة مهمة ينبغي ذكرها هنا، وهي: هل كان الخضر نبيًّا من الأنبياء أو وليًّا من الأولياء؟

لأهل العلم في هذه المسألة قولان:

القول الأول: الخضر نبي من الأنبياء.

وهذا قول جمهور العلماء[3] واختاره أبو العباس القرطبي[4]، وأبو عبد الله القرطبي[5] وابن حجر، والشنقيطي.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٨٦) ح ٣١٢٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٤/ ٦٥) ح ٨٣١٤ صححه ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٢١).

(٣) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٦).

(٤) المفهم (٦/ ٢٠٩).

(٥) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٦).

قال الحافظ ابن حجر: «والذي لا يتوقف فيه: الجزم بنبوته»[(١)].

واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف: ٦٥].

فالرحمة في هذه الآية النبوة؛ بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

قال أبو عبد الله القرطبي: «الرحمة في هذه الآية: النبوة»[(٢)].

واحتجوا أيضًا: بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ [الكهف: ٨٢].

فهذه الآية دليل واضح علىٰ نبوة الخضر؛ إذ نفت أن يكون ما فعله الخضر من إزهاق نفس الغلام، وتعييب السفينة من أمره، وإنما هو من أمر الله، وأمر الله الذي يترتب عليه هذه الأمور من إزهاق النفس وغير ذلك لا يكون إلا بالوحي، ولا يكون ذلك بالإلهام.

كما أن ما فعله الخضر هو من قبيل الغيب الذي لا يطلع عليه أحد إلا الله، وهو داخل في قوله تعالىٰ: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧].

قال أبو العباس القرطبي: «والظاهر من مساق قصته، واستقراء أحواله مع قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ أنه نبي يوحىٰ إليه بالتكاليف والأحكام»[(٣)].

وقال أبو عبد الله القرطبي: «وقول تعالىٰ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ يدل علي نبوته، وأنه يوحىٰ إليه بالتكليف والأحكام، كما أوحي للأنبياء -عليهم الصلاة

---

(١) الزهر النضر في خبر الحضر (ص١٦٢).

(٢) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٦).

(٣) المفهم (٦/ ٢٠٩).

والسلام- غير أنه ليس برسول»[١].

وقال الحافظ ابن حجر: «إن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام، وما ذلك إلا للوحي إليه من الله ﷻ: وهذا دليل مستقل على نبوته، وبرهان ظاهر على عصمته؛ لأن الولي لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقي في خلده؛ لأن خاطره ليس بواجب العصمة، إذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق»[٢].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «فمن إطلاق الرحمة على النبوة: قوله تعالى في «الزخرف»: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٠ - ٣٢]، أي: نبوته، حتى يتحكموا في إنزال القرآن على رجل عظيم من القريتين، وقوله تعالى في سورة «الدخان»: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾ [الدخان: ٤ - ٦]، وقوله تعالى في آخر «القصص»: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن﴾ [القصص: ٨٦]، ومن إطلاق إيتاء العلم على النبوة قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٦٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

ومعلوم أن الرحمة وإيتاء العلم اللدني أعم من كون ذلك عن طريق النبوة وغيرها، والاستدلال بالأعم على الأخص فيه أن وجود الأعم لا يستلزم وجود الأخص كما هو معروف.

ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم اللدني اللذين امتن الله بهما على

(١) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٨).

(٢) الزهر النضر في خبر الخضر (ص٣٠).

عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي: قوله تعالىٰ عنه: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ۚ﴾ [الكهف: ٨٢]، أي: وإنما فعلته عن أمر الله جل وعلا، وأمر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي، إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله جل وعلا، ولاسيما قتل الأنفس البريئة في ظاهر الأمر، وتعييب سفن الناس بخرقها؛ لأن العدوان علىٰ أنفس الناس وأموالهم لا يصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالىٰ، وقد حصر تعالىٰ طرق الإنذار في الوحي في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، و«إنما» صيغة حصر.

فإن قيل: قد يكون ذلك عن طريق الإلهام؟

فالجواب: أن المقرر في الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به علىٰ شيء، لعدم العصمة، وعدم الدليل علىٰ الاستدلال به، بل لوجود الدليل علىٰ عدم جواز الاستدلال به»(١).

واحتجوا أيضًا: بقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف: ٦٦ - ٧٠].

قال الحافظ ابن حجر: «فلو كان وليًّا وليس بنبي، لم يخاطبه موسىٰ بهذه المخاطبة، ولم يرد علىٰ موسىٰ هذا الرد، بل موسىٰ إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به دونه، فلو كان غير نبي لم يكن معصومًا، ولم تكن لموسىٰ وهو نبي عظيم ورسول كريم واجب العصمة كبير رغبة ولا عظيم طلبة في علم ولي غير واجب العصمة»(٢).

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٢٣).

(٢) الزهر النضر في خبر الخضر (ص٣٠).

وكذلك إخبار الخضر أن الغلام الذي قتله طبع كافرا، وهذا غيب لا يُطَّلع عليه إلا من طريق النبوة والوحي.

القول الثاني: أن الخضر ولي وليس بنبي.

أكثر العلماء على أنه ليس بنبي(١)، وقال به أبو علي بن أبي موسى من الحنابلة، وأبو بكر الأنباري، وأبو القاسم القشيري(٢).

ولعل أغلب ما احتجوا به: المنامات.

وكما هو معلوم أن المنامات ليست حجة، فالشريعة حاكمة وليست محكومة.

قال الحافظ ابن حجر: «ويلاحظ أن كثيرا منهم يفضلون الولي - في زعمهم - إما مطلقًا، وإما من بعض الوجوه، على النبي، زاعمين أن في قصة الخضر مع موسى عليه السلام الواردة في سورة الكهف، حجة لهم»(٣).

والصحيح: أن الخضر نبي من الأنبياء، وليس بولي؛ لما تقدم من الأدلة.

ومهما يكن من شيء فلا يجوز الخروج عن شريعة النبي ﷺ بدعوى أن الخضر عليه السلام خرج عن شريعة موسى عليه السلام، وبدعوى العلم اللدني، وأن أصحاب الحقيقة يجوز لهم مخالفة أهل الظاهر، وأن ما أظهره الرسل من الشريعة له باطن يخالفه، وهذا كله من الزندقة، والعياذ بالله.

فمن زعم أن الأولياء يسعهم الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، أو أن الشريعة تسقط عليهم

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٧).

(٢) الزهر النضر في خبر الخضر (ص٢٤).

(٣) الزهر النضر في خبر الخضر (ص٢٥).

فلا يطالبون بالأمر والنهي، فهو كافر يجب قتله بعد استتابته.

ثم أمَا علم هؤلاء أن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لم تكن دعوته عامة لجميع الناس، ولم يكن يجب علىٰ الخضر اتباع موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ بدليل قول الخضر لموسىٰ: «إني علىٰ علم من الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت علىٰ علم من الله علمكه الله لا أعلمه»[١].

وأما رسولنا ﷺ فهو مبعوث إلىٰ جميع الثقلين: الجن والإنس: عربهم وعجمهم.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قال ابن تيمية: «والإيمان بالرسل هو الأصل الثاني من أصلي الإسلام، فمن لم يؤمن بأن محمدًا رسول الله إلىٰ جميع العالمين، وأنه يجب علىٰ جميع الخلق متابعته، وأن الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين ما شرعه، فهو كافر: مثل هؤلاء المنافقين ونحوهم ممن يجوز الخروج عن دينه وشرعته وطاعته»[٢].

وقال: «فأما أن يظن أن المراد: اعبده حتىٰ يحصل لك إيقان، ثم لا عبادة عليك فهذا كفر باتفاق أئمة المسلمين.

ولهذا لما ذكر للجنيد بن محمد أن قوما يزعمون أنهم يصلون من طريق البر إلىٰ ترك العبادات.

فقال: الزنا والسرقة وشرب الخمر خير من قول هؤلاء»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٥/ ٤٦) ح ٢١١١٤.

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٥٢).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٤١٩-٤٢٠)

ومما يجب أن يعلم: أن العلم اللدني الصحيح هو: ما كان موافقًا للكتاب والسنة، وحقيقته: فتح من الله لفهم نصوص الكتاب والسنة.

قال ابن القيم: «والعلم اللدني ثمرة العبودية والمتابعة، والصدق مع الله، والإخلاص له، وبذل الجهد في تلقي العلم من مشكاة رسوله ﷺ، وكمال الانقياد له، فيفتح له من فهم الكتاب والسنة بأمر يخصه به، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه - وقد سئل هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس؟ - فقال: «لا، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إلا فهمًا يؤتيه الله عبدا في كتابه»[1].

فهذا هو العلم اللدني الحقيقي، وأما علم من أعرض عن الكتاب والسنة، ولم يتقيد بهما: فهو من لدن النفس والهوىٰ، والشيطان، فهو لدني. لكن من لدن مَن؟

وإنما يعرف كون العلم لدنيًا رحمانيًا: بموافقته لما جاء به الرسول ﷺ عن ربه عز وجل.

فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني، ولدني شيطاني بطناوي.

والمحك: هو الوحي. ولا وحي بعد رسول الله ﷺ.

وأما قصة موسىٰ مع الخضر عليهما السلام: فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني إلحاد، وكفر مخرج عن الإسلام، موجب لإراقة الدم.

والفرق: أن موسىٰ لم يكن مبعوثًا إلىٰ الخضر، ولم يكن الخضر مأمورًا بمتابعته، ولو كان مأمورًا بها لوجب عليه أن يهاجر إلىٰ موسىٰ ويكون معه.

ولهذا قال له: «أنت موسىٰ نبي بني إسرائيل؟ قال: نعم».

ومحمد ﷺ مبعوث إلىٰ جميع الثقلين، فرسالته عامة للجن والإنس، في كل زمان.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٦٩) ح٣٠٤٧.

ولو كان موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام حيين لكانا من أتباعه، وإذا نزل عيسىٰ ابن مريم عليهما السلام، فإنما يحكم بشريعة محمد ﷺ.

فمن ادعىٰ أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسىٰ، أو جوز ذلك لأحد من الأمة: فليجدد إسلامه، وليتشهد شهادة الحق، فإنه بذلك مفارق لدين الإسلام بالكلية، فضلا عن أن يكون من خاصة أولياء الله. وإنما هو من أولياء الشيطان.

وهذا الموضع مقطع ومفرق بين زنادقة القوم، وبين أهل الاستقامة منهم، فحرك تره»[1].

* * *

• ثانيًا: عدد الأنبياء والرسل:

إن الأنبياء جمٌّ غفير،لم يأت نص صحيح ببيان عددهم، فيجب الإيمان بهم جميعا من غير حصر بعدد معين.

والله سبحانه قد قص علينا بعضهم في القرآن ولم يقصص علينا الكثير منهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

وقد يستدل البعض علىٰ حصر الأنبياء بأحاديث منها:

- حديث أبي ذر رضي الله عنه وفيه قال: قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «**ثلاث مائة وبضعة عشر، جمًّا غفيرًا**»، وقال مرة: «**خمسة عشر**»[2].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٤٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٥/ ٤٣١) ح ٢١٥٤٥ قال حدثنا وكيع، حدثنا المسعودي، أنبأني أبو عمر الدمشقي، عن عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر به.

فيه عبيد بن الخشخاش، قال ابن حجر: «لين» تقريب التهذيب (ص٤٤٠) وأما عمر الدمشقي قال عنه الدارقطني: «متروك» تهذيب التهذيب (٤/ ٥٦٠).

=

وهو حديث ضعيف جدًّا.

- حديث أبي أمامة وفيه: كم وفىٰ عدة الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا**»[1].

وأما عدد الرسل: فثلاث مائة وخمسة عشر؛ ثبت ذلك في حديث أبي أمامة[2].

= وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٦) عن الحسن الشيباني والحسين القطان وابن قتيبة قالوا حدثنا إبراهيم بن هشام الغساني قال حدثنا أبي عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر به.

وإبراهيم الغساني قال عنه أبو حاتم: (كذاب» الجرح والتعديل (٢/ ١٤٢).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٦/ ٦١٩) ح ٢٢٢٨٨ وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢١٧) ح٧٨٧١ من طريق أبي المغيرة، حدثنا معان بن رفاعة، حدثني علي بن يزيد، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة به.

قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٧٠): «معان بن رفاعة السلامي ضعيف، وعلي بن يزيد ضعيف، والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضًا».

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤/ ٦٩) قال: أخبرنا محمد بن عمر بن يوسف، حدثنا محمد ابن عبد الملك بن زنجويه، حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، قال: سمعت أبا سلام، قال: سمعت أبا أمامة أن رجلا قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: «نعم مكلم»، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون».

وليس فيه ذكر عدد الأنبياء.

(٢) أخرجه الطبراني (٧٥٤٥) حدثنا أحمد بن خليد الحلبي، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع، معاوية ابن سلام، عن زيد بن سلام، أنه سمع أبا سلام، حدثني أبو أمامة أن رجلا قال: يا رسول الله، كم كانت الرسل؟ قال: «ثلاث مائة وثلاثة عشر»

قال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢١٠): «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، غَيْرَ أَحْمَدَ بْنِ خُلَيْدٍ الْحَلَبِيِّ وَهُوَ ثِقَةٌ».

وخالف عثمان الدارمي أحمد بن خليد كما في المستدرك (٢/ ٢٦٢) فرواها بلفظ: «ثلاث مائة وخمس عشرة» وقال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه»

وتابع عثمان علىٰ لفظ «ثلاث مائة وخمس عشرة» عبد الكريم ابن الهيثم الديرعاقولي كما أخرجه أبو جعفر الرزاز في «مجلس من الأمالي». انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ٣٥٨). =

المبحث السادس
خصائص الرسل

إن الرسل عليهم السلام ميزهم الله بأمور تفردوا بها عن سائر البشر، وهي كما يأتي:

١- **الوحي**؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

والمراد بالوحي شرعًا: الإعلام بالشرع(١).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «أمر -جل وعلا- نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يقول للناس: إنما أنا بشر مثلكم، أي: لا أقول لكم إني ملك ولا غير بشر، بل أنا بشر مثلكم، أي: بشر من جنس البشر، إلا أن الله تعالىٰ فضلني وخصني بما أوحىٰ إلي من توحيده وشرعه»(٢).

٢- **العصمة**؛ قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

فأوجب الله الإيمان بكل ما جاء به الرسل، فلو لم يكونوا معصومين لما أوجب الله ذلك، ولم ينازع أحد من المسلمين في عصمة الأنبياء فيما يبلغونه عن الله.

قال ابن تيمية: «الأنبياء -صلوات الله عليهم- معصومون فيما يخبرون به

والأرجح رواية عثمان الدارمي وعبد الكريم، وهي موافقة للرواية المتقدمة التي ذكرها أحمد في المسند من حديث أمامة، فتكون شاهدة لها.

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ١٢).

(٢) أضواء البيان (٣/ ٣٥٥).

عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة»[١].

٣- **تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:**

قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي**»[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وهو يحدث عن ليلة أسري بالنبي ﷺ من مسجد الكعبة قال: «**جاءه ثلاثة نفر، قبل أن يوحىٰ إليه، وهو نائم في مسجد الحرام، فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، وقال آخرهم: خذوا خيرهم. فكانت تلك، فلم يرهم حتىٰ جاءوا ليلة أخرىٰ فيما يرىٰ قلبه، والنبي ﷺ نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم**»[٣].

قال ابن عبد البر: «الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، ولذلك كانت رؤيا الأنبياء وحيًا»[٤].

وقال: «ولهذا والله أعلم قال بن عباس رؤيا الأنبياء وحي؛ لأن الأنبياء يفارقون سائر البشر في نوم القلب، ويساووهم في نوم العين، ولو تسلط النوم علىٰ قلوبهم كما يصنع بغيرهم لم تكن رؤياهم إلا كرؤيا من سواهم، وقد خصهم الله من فضله بما شاء أن يخصهم به»[٥].

٤- **النبي يُدفن في المكان الذي يموت فيه.**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قبض رسول الله ﷺاختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت من رسول الله ﷺ شيئا ما نسيته قال: ما قبض الله نبيًّا إلا في

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٣)ح١١٤٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩١)ح٣٥٧٠.

(٤) الاستذكار (١/ ٧٥).

(٥) الاستذكار (٢/ ١٠١).

الموضع الذي يحب أن يدفن فيه. أدفنوه في موضع فراشه»[١].

فهذه خصيصة للنبي ﷺ، وكذلك الأنبياء، ولهذا الصحابة لم يكونوا يدفنون موتاهم في البيوت، وإنما دفنوهم في البقيع، بل إن النبي ﷺ لم يدفن أحدا في بيته، وهذا فيه دلالة علىٰ أن الدفن في البيوت لا يجوز[٢].

٥- النبي يخير بين الدنيا والآخرة عند المرض.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة**»[٣].

٦- لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء.

عن أوس بن أوس رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي**»، قال: فقالوا: يا رسول الله: وكيف تعرض صلاتنا عليك، وقد أرمت؟ - قال: يقولون: بليت - قال: «**إن الله تبارك وتعالىٰ حرم علىٰ الأرض أجساد الأنبياء صلىٰ الله عليهم**»[٤].

٧- لكل نبي حوض.

عن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل نبي حوضًا، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة**»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه برقم ١٠١٨ وصححه الألباني.

(٢) انظر: رسالتي «تحرير القواعد المتعلقة بأحكام زيارة القبور والمشاهد».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٦) ح ٤٥٨٦.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٢/ ٨٨) ح١٥٣١ والنسائي في سننه (٣/ ٩١) ح١٣٧٤ وصححه الألباني.

(٥) أخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٢٨) ح ٢٤٤٣ وقال: «هذا حديث غريب» وقد روىٰ الأشعث بن عبد الملك، هذا الحديث عن الحسن، عن النبي ﷺ «مرسلًا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح».

قال ابن القيم: «هل الحوض مختص بنبينا ﷺ، أم لكل نبي حوض؟

فالحوض الأعظم مختص به لا يشركه فيه نبي غيره

وأما سائر الأنبياء؛ فقد قال الترمذي في الجامع حدثنا أحمد بن محمد بن نيزك البغدادي حدثنا محمد بن بكار الدمشقي حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لكل نبي حوضًا، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة»** قال الترمذي: «هذا حديث غريب وقد روىٰ الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح»[1].

٨- الأنبياء أحياء في قبورهم.

عن أنس بن مالك، قال رسول الله ﷺ: **«الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»**[2].

وعن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: **«مررت علىٰ موسىٰ ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره»**[3].

وإذا ثبت أنهم أحياء من حيث النقل فإنه يقويه من حيث النظر كون الشهداء أحياء بنص القرآن، والأنبياء أفضل من الشهداء[4].

ومع هذا فليس لنا أن نطلب منهم شيئًا، وإن كانوا أحياء في قبورهم، فإنه لم يفعل ذلك أحد من السلف؛ لأن ذلك ذريعة إلىٰ الشرك بهم وعبادتهم من دون

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته (١٣/ ٥٧).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده (٦/ ١٤٧) ح ٣٤٢٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٤٥) ح ٢٣٧٥.

(٤) فتح الباري (٦/ ٤٨٨).

الله تعالىٰ.

بخلاف الطلب من أحدهم في حال حياته في الدنيا، فإنه لا يُفضي إلىٰ الشرك[1].

فحياة الأنبياء في قبورهم هي حياة برزخية لا نعلم حقيقتها، فهي من الغيب الذي لم يُطلعنا الله إياه.

وليست حياتهم في قبورهم كحياتهم في الدنيا.

وقد ضل في هذا الباب طائفة من الناس، فظنوا أن حياتهم في القبور كحياتهم في الدنيا، وهذا منقوض من وجوه:

الوجه الأول: لو كان الأنبياء أحياء كحياتهم في الدنيا لكانوا فوق الأرض لا تحتها، فهذه سنة الله في خلقه أن الأحياء مكانهم فوق الأرض، والأموات تحت الأرض.

الوجه الثاني: الصحابة وقع بينهم خلاف في مسائل يحتاجون إليها، وكذلك الأمة من بعدهم، واستجدت بدع لم تكن في عهد النبي ﷺ، فلو كان النبي ﷺ حيًّا كحياته في الدنيا لأفتاهم، ولبين لهم السنة من البدعة، والحلال من الحرام.

أم تخرجون من هذين الوجهين بالقول بأنه كان عاجزًا عن النطق، وعن رد الجواب.

وكذلك كان عاجزًا عن النهوض، نعوذ بالله من الخذلان.

الوجه الثالث: أن الله أخبر أن الرسول ﷺ بشر يموت كما يموت البشر؛ قال

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٨٩).

تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

ولم يرد في الكتاب والسنة أن النبي ﷺ بُعث بعد موته[1].

* * *

(١) انظر: الكافية الشافية لابن القيم (٢١٥-٢١٨) وقد ذكر شبههم ورد عليها. وانظر: شرح القصيدة النونية للهراس (٢/ ٤-٢٣).

المبحث السابع
خصائص النبي ﷺ

١ - أفضل الأنبياء وأرفعهم مكانة عند الله نبينا محمد ﷺ.

إن الله سبحانه فضَّل الرسل بعضهم على بعض؛ كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

وجعل الله أفضل الأنبياء والرسل نبينا محمد ﷺ؛ فقد جاء في حديث الشفاعة أن النبي ﷺ قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»[١].

قال ربيع بن خثيم: «لا نفضل على نبينا محمد ﷺ أحدًا، ولا نفضل على إبراهيم خليل الله أحدًا»[٢].

وقال الطحاوي: «وأنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين»[٣].

وقال الآجري: «اعلموا -رحمنا الله وإياكم- أن الله -جل ذكره- شرف نبيه محمدًا بأعلى الشرف، ونعته بأحسن النعت، ووصفه بأجمل الصفة، وأقامه في أعلى الرتب»[٤].

قال ابن أبي العز الحنفي: «وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم؛ لأنا لا يمكننا أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٨٤)ح٤٧١٢ ومسلم في صحيحه (١/ ١٨٤) ح١٩٤.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٣٢٦) ٣١٧٩٧.

(٣) العقيدة الطحاوية (ص٣٨).

(٤) الشريعة (٣/ ١٣٨٦).

نعلم ذلك إلا بخبره؛ إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله صلىٰ الله عليهم أجمعين»[١].

٢- الرسول ﷺ بعثه الله إلىٰ الثقلين الجن والإنس.

إن رسالة النبي ﷺ عامة، وهذا من خصائصه ﷺ.

ولرسالته ﷺ عمومان لا يتطرق إليها تخصيص: عموم بالنسبة لمن أرسل إليهم، فتعم كل أحد.

وعموم بالنسبة إلىٰ كل ما يحتاج الثقلان من أصول الدين، وفروعه.

فلا يخرج أحد من المكلفين عن رسالته، ولا يخرج نوع من أنواع الحق الذي تحتاج إليه الأمة عما جاء به[٢].

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ: ٢٨].

قال قتادة: «أرسل الله محمدًا إلىٰ العرب والعجم، فأكرمُهُم علىٰ الله أطوعهم له»[٣].

وقال **ابن جرير الطبري:** «يقول -تعالىٰ ذكره-: وما أرسلناك يا محمد إلىٰ هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين؛ العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيرًا من أطاعك، ونذيرًا من كذبك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله أرسلك كذلك إلىٰ جميع البشر»[٤].

---

(١) شرح الطحاوية (ص١٦٤).

(٢) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ٢٨٦).

(٣) تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (٢٠/ ٤٠٥).

(٤) تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (٢٠/ ٤٠٥).

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قال ابن كثير: «وهذا خطاب للأحمر والأسود، والعربي والعجمي، ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلىٰ الناس كافة»[(١)].

قال الطحاوي في تقرير هذه الخصيصة: «وهو المبعوث إلىٰ عامة الجن، وكافة الورىٰ، بالحق والهدىٰ وبالنور والضياء»[(٢)]

وقال ابن تيمية: «ومحمد ﷺ مبعوث إلىٰ الثقلين باتفاق المسلمين»[(٣)]

وأما غيره من الأنبياء فرسالتهم خاصة لأقوامهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ إبراهيم: ٤

قال ابن كثير: «وقد كانت هذه سنة الله في خلقه: أنه ما بعث نبيا في أمة إلا أن يكون بلغتهم، فاختص كل نبي بإبلاغ رسالته إلىٰ أمته دون غيرهم، واختص محمد بن عبد الله رسول الله بعموم الرسالة إلىٰ سائر الناس»[(٤)].

ومما يشهد لهذا المعنىٰ: قوله ﷺ: **«وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة وبعثت إلىٰ الناس عامة»**[(٥)].

ويشهد لهذا أيضًا: قوله ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان**

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٨٩).

(٢) العقيدة الطحاوية (ص٣٩).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٣٠٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٧٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التيمم (١/ ٧٤) ح ٣٣٥.

من أصحاب النار»[١].

قال سعيد بن جبير: «ما بلغني حديثٌ عن رسول الله ﷺ، على وَجهه إلا وجدت مصداقَه في كتاب الله تعالى، حتى قال: «**لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة، ولا يهودي ولا نصرانيّ، ثم لا يؤمن بما أرسلت به إلا دخل النار**».

قال سعيد، فقلت: أين هذا في كتاب الله؟

حتى أتيت على هذه الآية: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ﴾ [هود: ١٧].

قال: من أهل الملل كُلّها»[٢].

وبعثته ﷺ إلى الجن أيضًا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢].

قال ابن القيم: «فأجمع المسلمون على أن محمدًا ﷺ بعث إلى الجن والإنس، وأنه يجب على الجن طاعته، كما يجب على الإنس»[٣].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «قوله - تعالى -: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٣٤) ح ١٥٣.

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٢٧٩).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٤١٧).

منطوق هذه الآية: أن من أجاب داعي الله محمدًا ﷺ وآمن به، وبما جاء به من الحق؛ غفر الله له ذنوبه، وأجاره من العذاب الأليم. ومفهومها، أعني مفهوم مخالفتها المعروف بدليل الخطاب، أن من لم يجب داعي الله من الجن، ولم يؤمن به لم يغفر له، ولم يجره من عذاب أليم، بل يعذبه ويدخله النار، وهذا المفهوم جاء مصرحًا به مبينًا في آيات أخر، كقوله - تعالىٰ -: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]. وقوله - تعالىٰ -: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣]»(١).

٣- خصه الله بالشفاعة العظمىٰ يوم القيامة.

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]: «المقام المحمود: مقام الشفاعة»(٢).

وقال الحسن البصري: «المقام المحمود: مقام الشفاعة يوم القيامة»(٣).

ويشهد لهذا ما جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتي بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فنهش منها نهشة، ثم قال: **«أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلىٰ ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن**

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٢٢٦).

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (١٧/ ٥٢٧).

(٣) تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (١٧/ ٥٢٧).

فيه، ألا ترىٰ إلىٰ ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ نوح، فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلىٰ أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي ﷻ قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها علىٰ قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلىٰ ربك ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه، فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرهن أبو حيان في الحديث - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ موسىٰ فيأتون، موسىٰ فيقولون: يا موسىٰ أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه علىٰ الناس، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ عيسىٰ ابن مريم، فيأتون عيسىٰ، فيقولون: يا عيسىٰ أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيًّا، اشفع لنا إلىٰ ربك ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه؟ فيقول عيسىٰ: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبا، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلىٰ غيري اذهبوا إلىٰ محمد، فيأتون محمدًا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلىٰ ربك ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه، فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي ﷻ، ثم يفتح الله

علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا، لم يفتحه علىٰ أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوىٰ ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة، كما بين مكة وحمير - أو كما بين مكة وبصرىٰ -»[1].

٤- أن الله أخذ الميثاق علىٰ الرسل جميعًا أنه إذا خرج النبي ﷺ ليؤمنن به ولينصرنه.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

قال السدي: «لم يبعث الله ﷻ نبيًّا قطُّ من لدُنْ نوح، إلا أخذ ميثاقه ليؤمننّ بمحمد ولينصرنَّه إن خَرَج وهو حيّ، وإلا أخذ علىٰ قومه أن يؤمنوا به ولينصرُنَّه إن خَرَج وهم أحياء»[2].

٥- خصه الله بحل الغنائم، ونصره بالرعب مسيرة شهر، وجعل الأرض له مسجدًا وطهورًا.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٨٥) ح ٤٧١٢.

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (٦/ ٥٥٦).

الغنائم، وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة، وبعثت إلىٰ الناس كافة، وأعطيت الشفاعة»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: «وظاهر الحديث يقتضي أن كل واحدة من الخمس المذكورات لم تكن لأحد قبله، وهو كذلك»[(٢)].

٦- أعطي ﷺ جوامع الكلم.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«فُضِّلتُ علىٰ الأنبياء بستٍّ: أعطيت جوامع الكلم...»**[(٣)].

قال ابن شهاب الزهري: «وبلغني أن جوامع الكلم: أن الله يجمع الأمور الكثيرة، التي كانت تكتب في الكتب قبله، في الأمر الواحد، والأمرين، أو نحو ذلك»[(٤)].

٧- من خصائصه ﷺ الكوثر.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: ١].

قال الحافظ ابن حجر: «فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه، فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان عليه به في السورة المذكورة»[(٥)].

٨- ختم الله النبوة به ﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٩٥) ح ٤٣٨.

(٢) فتح الباري (١/ ٤٣٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٧١) ح ٥٢٣.

(٤) صحيح البخاري (٩/ ٣٦) وانظر: فتح الباري (١٢/ ٥٠١).

(٥) فتح الباري (١١/ ٤٦٧).

قال الطبري: «وخاتم النبيين، الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلىٰ قيام الساعة»[١].

وقال ابن كثير: «فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولىٰ والأحرىٰ؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنىٰ بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[٣].

قال ابن حجر: «وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام، وفضل النبي ﷺ علىٰ سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين، وأكمل به شرائع الدين»[٤].

ومن الهذيان الذي ذكره الغزالي؛ وهو لازم لأهل الكلام الذين صرفوا النصوص عن ظاهرها بلا موجب شرعي، بل بمحض العقول والآراء؛ **يقول الغزالي**: «أن قائلًا لو قال: يجوز أن يبعث رسول بعد نبينا محمد ﷺ، فيبعد التوقف في تكفيره، ومستند استحالة ذلك عند البحث تستمد من الإجماع لا محالة. فإن العقل لا يحيله، وما نقل فيه من قوله: «**لا نبي بعدي**»، ومن قوله تعالىٰ: ﴿خَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، فلا يعجز هذا القائل عن تأويله فيقول: خاتم النبيين أراد به أولي العزم من الرسل، فإن قالوا النبيين عام، فلا يبعد تخصيص العام.

---

(١) تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (٢٠/ ٢٧٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٢٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٦) ح ٣٥٣٥.

(٤) فتح البارئ (٦/ ٥٥٩).

وقوله: «لا نبي بعدي» لم يرد به الرسول، وفرق بين النبي والرسول، والنبي أعلىٰ رتبة من الرسول، إلىٰ غير ذلك من أنواع الهذيان.

فهذا وأمثاله لا يمكن أن ندعي استحالته من حيث مجرد اللفظ، فإنا في تأويل ظواهر التشبيه قضينا باحتمالات أبعد من هذه، ولم يكن ذلك مبطلًا للنصوص، ولكن الرد علىٰ هذا القائل أن الأمة فهمت بالإجماع من هذا اللفظ ومن قرائن أحواله أنه أفهم عدم نبي بعده أبدًا، وعدم رسول الله أبدًا»[1]

قال أبو عبد الله القرطبي: «وما ذكره الغزالي في هذه الآية، وهذا المعنىٰ في كتابه الذي سماه بالاقتصاد، إلحاد عندي، وتطرق خبيث إلىٰ تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد ﷺ النبوة، فالحذر الحذر منه»[2].

وأختم بنقل عن الإمام ابن القيم جمع فيه خصائص كثيرة للنبي ﷺ؛ قال فيه: «فمن ذلك أنه بعث إلىٰ الخلق عامة، وختم به ديوان الأنبياء، ونزل عليه القرآن الذي لم ينزل من السماء كتاب يشبهه، ولا يقاربه، وأنزل علىٰ قلبه محفوظًا متلوًّا، وضمن له حفظه إلىٰ أن يأتي الله بأمره، وأوتي جوامع الكلم، ونصر بالرعب في قلوب أعدائه وبينهما مسيرة شهر، وجعلت صفوف أمته في الصلاة علىٰ مثال صفوف الملائكة في السماء، وجعلت له ولأمته الأرض مسجدا وطهورا، وأسري به إلىٰ أن جاوز السماوات السبع، ورأىٰ ما لم يره بشر قبله، ورفع علىٰ سائر النبيين، وجعل سيد ولد آدم، وانتشرت دعوته في مشارق الأرض ومغاربها، واتبعه علىٰ دينه أتباع أكثر من أتباع سائر النبيين من عهد نوح إلىٰ المسيح، فأمته ثلثا أهل الجنة، وخصه بالوسيلة، وهي أعلىٰ درجة في الجنة، وبالمقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وبالشفاعة العظمىٰ التي

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٣٧).

(٢) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٩٧).

يتأخر عنها آدم ونوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ، وأعز الله به الحق وأهله عزا لم يعزه بأحد من قبله، وأذل به الباطل وحزبه ذلا لم يحصل بأحد قبله، وآتاه من العلم والشجاعة والسماحة والصبر والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والعبادات القلبية والمعارف الإلهية ما لم يؤته نبي قبله، وجعلت الحسنة منه ومن أمته بعشر حسنات مثلها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة، وتجاوز له عن أمته الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، وصلىٰ الله عليه هو وجميع ملائكته، وأمر عباده المؤمنين كلهم أن يصلوا عليه ويسلموا تسليمًا، وقرن اسمه باسمه فإذا ذكر الله ذكر معه، كما في الخطبة والتشهد والأذان، فلا يصح لأحد أذان ولا خطبة ولا صلاة حتىٰ يشهد أنه عبده ورسوله، ولم يجعل معه أمرًا يطاع، لا ممن قبله ولا ممن هو كائن بعده إلىٰ أن تطوىٰ الدنيا ومن عليها، وأغلق أبواب الجنة إلا عمن سلك خلفه، واقتدىٰ به، وجعل لواء الحمد بيده، فآدم وجميع الأنبياء تحت لوائه يوم القيامة، وجعله أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع، وأول من يقرع باب الجنة، وأول من يدخلها، فلا يدخلها أحد من الأولين والآخرين إلا بشفاعته ﷺ، وأعطي من اليقين والإيمان والصبر والثبات والقوة في أمر الله تعالىٰ، والعزيمة علىٰ تنفيذ أوامره، والرضا عنه، والشكر له، والتنوع في مرضاته، وطاعته ظاهرًا وباطنًا، سرًّا وعلانية، في نفسه وفي الخلق، ما لم يعطه نبي غيره. ومن عرف أحوال العالم، وسير الأنبياء وأممهم، تبين له أن الأمر فوق ذلك، فإذا كان يوم القيامة ظهر للخلائق كلهم من ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر أنه يكون أبدًا»[1].

وقبل ختم هذه المسألة لابد من التنبيه علىٰ أمر مهم، وهو: أن بعض الناس لم يقنعوا بما ثبت من خصائص للنبي ﷺ ، حتىٰ زادوا علىٰ ذلك أشياء ما أنزل

---

(١) هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ (٢/ ٣٦٦).

الله بها من سلطان، ومن ذلك:

١- أن النبي ﷺ خُص بأنه خُلق من نور.

وهذه من المقولات التي ليس لها حجة تدعمها، ولا دليل صحيح يسندها، وإنما هي ناتجة عن الغلو.

وغفل هؤلاء أن النبي ﷺ بشر؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠].

وقد أخبر الله عن البشر أنهم خلقهم من طين، ولم يخلق أحد من البشر من نور؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: ١٢].

٢- أن العالم خلق من أجله، ولولا هو لما خلق شيء.

وهذا من أعظم الكذب، ولم يرد به حديث صحيح ولا ضعيف، ولا عرف عن أحد من سلف الأمة.

وهو منافٍ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال ابن تيمية: «ومحمد سيد ولد آدم، وأفضل الخلق، وأكرمهم عليه، ومن هنا قال من قال: إن الله خلق من أجله العالم، أو إنه لو لا هو لما خلق عرشًا، ولا كرسيًّا، ولا سماء ولا أرضًا، ولا شمسًا ولا قمرًا، لكن ليس هذا حديثا عن النبي ﷺ لا صحيحًا ولا ضعيفًا، ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي ﷺ، بل ولا يعرف عن الصحابة، بل هو كلام لا يدرىٰ قائله»[1].

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٩٦).

المبحث الثامن
دلائل النبوة

الدلائل: جمع دليل، والدليل لا يكون دليلا إلا إذا كان مستلزما للمدلول عليه مختصا به، فلا يصح أن يكون مشتركا بين المدلول وبين غيره؛ فإنه يلزم من تحقق الدليل تحقق المدلول؛ لاختصاصه به، وإذا انتفىٰ المدلول انتفىٰ الدليل.

وعلىٰ هذا فما وجد مع النبوة تارة، ومع عدم النبوة تارة لم يكن دليلا علىٰ النبوة، بل دليلها ما يلزم من وجوده وجودها(١).

وأما النبوة فحقيقتها تشتمل أمرين: وحي الله، وأمره بتبليغ ذلك الوحي إلىٰ الناس.

فالنبوة متعلقة بأفعال الله -جل جلاله وتقدست أسماؤه-، فجَعْلُ الشخص نبيًّا رسولًا من أفعال الله، وأفعال الله مبنية علىٰ الحكمة.

فمن نفىٰ الحكمة في أفعال الله وجعلها متعلقة بمحض المشيئة، جوَّز عليه فعل كل ممكن، ولم ينزه عن فعل من الأفعال.

ولهذا الجهمية والأشاعرة ومن وافقهم جوزوا علىٰ الله بعثة كل مكلف، فليس للنبي في نفسه صفة اقتضت تخصيصه بالنبوة.

قال الشهرستاني الأشعري: «النبوة ليست صفة راجعة إلىٰ نفس النبي، ولا درجة يبلغ إليها أحد بعلمه»(٢).

---

(١) انظر: النبوات (١/ ٢٤٩).

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام (ص ٤٦٢).

وقال الآمدي الأشعري: «ليست النبوة هي معنىٰ يعود إلىٰ ذاتي من ذاتيات النبي، ولا إلىٰ عرض من أعراضه استحقها بكسبه وعمله»[1].

وقال: «فإذن الحق: ما ذهب إليه أهل الحق من الأشاعرة وغيرهم من أن النبوة ليست راجعة إلىٰ ذاتي من ذاتيات النبي، ولا إلىٰ عرض من أعراضه المكتسبة له»[2].

فمدار النبوة عندهم علىٰ الوحي، فمجرد إعلامه بما أوحاه الله يكون نبيًّا، فليست النبوة عندهم صفة ثبوتية، ولا مستلزمة لصفة يختص بها، بل هي من الصفات الإضافية.

فليست النبوة إلا مجرد إنباء الله للعبد، وهو تعلق كلامه به.

ومن هنا ذهب أبو المعالي الجويني وغيره من أهل الكلام إلىٰ أن العقل لا يوجب عصمة النبي إلا في التبليغ خاصة، فإن هذا هو مدلول المعجزة، وما سوىٰ ذلك إن دل السمع عليه، وإلا لم تجب عصمته منه[3].

قال أبو المعالي الجويني: «وأما الذنوب المعدودة من الصغائر، علىٰ تفصيل سيأتي الشرح عليه، فلا تنفيها العقول، ولم يقم عندي دليل قاطع سمعي علىٰ نفيها، ولا علىٰ إثباتها»[4].

فكون النبي لا يكون فاجرا عندهم لا يعلم بالعقل، وإنما بالسمع.

والمراد بالسمع عندهم الإجماع، فلم يعتمدوا في تنزيه الأنبياء لا علىٰ الكتاب والسنة، ولا علىٰ دليل عقلي.

---

(١) غاية المرام في علم الكلام (ص٢٧٣).

(٢) أبكار الأفكار (٤/ ١٢).

(٣) انظر: منهاج السنة (٢/ ٤١٤) وشرح الأصبهانية (ص٦٢٠).

(٤) الإرشاد (ص٣٥٦).

وأما المعتزلة ومن وافقهم فيقولون: إن الله لا يفضل شخصًا على شخص إلا بعمله، فالنبوة والرسالة جزاء على عمل متقدم، فالنبي فعل من الأفعال الصالحة ما استحق به أن يجزيه الله بالنبوة[(١)].

وهذا كله بناء على أصلهم الفاسد في خلق أفعال العباد، فالعبد هو الذي يخلق فعل نفسه عند المعتزلة، فيستحق عليه بعد ذلك الثواب أو العقاب.

فظهر أن الجهمية في جانب والمعتزلة في جانب آخر.

والحق الذي عليه أئمة السلف، والذي دلت عليه النصوص الشرعية أن النبوة يختص الله بها من يشاء من عباده، فالله يصطفي الرسل ويختارهم.

والنبي ميزه الله بصفات، وخصه بخصائص استعد بها لأن يخصه الله بفضله.

فالنبوة تتضمن خطاب الرب، وتتضمن صفة قائمة بالنبي أيضًا[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣١ - ٣٢].

قال ابن كثير: «قال الله تعالى رادا عليهم في هذا الاعتراض: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ﴾؟ أي: ليس الأمر مردودا إليهم، بل إلى الله، ﷻ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبًا ونفسًا، وأشرفهم بيتًا وأطهرهم أصلًا»[(٣)].

---

(١) انظر: منهاج السنة (٢/ ٤١٥).

(٢) انظر: شرح الأصبهانية (ص٦٢١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٢٦).

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١].

قال البغوي: «﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ أنه أهل للهداية والنبوة»(١).

هذه هي النبوة عند أهل السنة والجماعة، خلافًا لما عليه الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن وافقهم.

إذا كانت هذه هي النبوة عند أهل السنة، فما هي طرق إثباتها؟

والجواب عن هذا السؤال: أن لإثبات النبوة طرقًا متعددة، ودلائل متنوعة، ليست منحصرة في طريق معين كما ذهب إلىٰ ذلك أهل الكلام وغيرهم، وسيأتي تفصيل ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [المائدة: ٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ﴾ [يونس: ٧٤].

قال ابن جرير الطبري: «يعني: بالآيات الواضحة، والحجج البيِّنة علىٰ حقيقة ما أرسلوا به إليهم، وصحة ما دعوهم إليه من الإيمان بهم، وأداء فرائضِ الله عليهم»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»(٣).

---

(١) تفسير البغوي (٥/ ٣٢٢).

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (١٠/ ٢٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٨٢) ح ٤٩٨١.

ومما يشهد لتنوع دلائل النبوة وتعدد طرقها: ما جاء في قصة هرقل مع أبي سفيان، وهو يسأل عن دلائل النبوة.

فقد سألهم هرقل عن أسباب الكذب وعلاماته فوجدها منتفية، وسألهم عن علامات الصدق فوجدها ثابتة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: حدثني أبو سفيان رضي الله عنه، من فيه إلىٰ في، قال: «انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ، قال: فبينا أنا بالشأم، إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلىٰ هرقل، قال: وكان دحية الكلبي جاء به، فدفعه إلىٰ عظيم بصرىٰ، فدفعه عظيم بصرىٰ إلىٰ هرقل، قال: فقال هرقل: هل ها هنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقالوا: نعم، قال: فدعيت في نفر من قريش، فدخلنا علىٰ هرقل فأجلسنا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا بترجمانه، فقال: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذبني فكذبوه، قال أبو سفيان: وايم الله، لولا أن يؤثروا علي الكذب لكذبت، ثم قال: لترجمانه، سله كيف حسبه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قال: قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت: بل ضعفاؤهم، قال: يزيدون أو ينقصون؟ قال: قلت لا بل يزيدون، قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ قال: قلت: لا، قال: فهل قاتلتموه؟ قال: قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالًا يصيب منا ونصيب منه، قال: فهل يغدر؟ قال: قلت: لا، ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما هو صانع فيها، قال: والله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه، قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت: لا،

ثم قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه فيكم، فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك: هل كان في آبائه ملك، فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك، قلت: رجل يطلب ملك آبائه، وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم، فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب علىٰ الناس، ثم يذهب فيكذب علىٰ الله، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له، فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب، وسألتك هل يزيدون أم ينقصون، فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الإيمان حتىٰ يتم، وسألتك: هل قاتلتموه فزعمت أنكم قاتلتموه، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلىٰ ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك: هل قال أحد هذا القول قبله، فزعمت أن لا، فقلت: لو كان قال هذا القول أحد قبله، قلت: رجل ائتم بقول قيل قبله، قال: ثم قال: بم يأمركم؟ قال: قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف، قال: إن يك ما تقول فيه حقًّا، فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكُ أظنه منكم، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي»[1].

ومن الضلال المبين: ما وقع فيه المخالفون لأهل السنة والجماعة من حصرهم دلائل النبوة في فرد من أفرادها، ونوع من أنواعها، ومن ذلك:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٥) ح٤٥٥٣.

• أولًا: زعم بعضهم أنها محصورة في بشارات الكتب السابقة.

يقول ابن القيم: « شواهد النبوة وآيتها لا تنحصر فيما عند أهل الكتاب من نعت النبي ﷺ وصفته، وشواهدها متنوعة متعددة جدًّا، ونعته في الكتب المتقدمة فرد من أفرادها.

وجمهور أهل الأرض لم يكن إسلامهم عن الشواهد والأخبار التي في كتبكم، وأكثرهم لا يعلمونها ولا سمعوها، بل أسلموا للشواهد التي عاينوها، والآيات التي شاهدوها، وجاءت تلك الشواهد التي عند أهل الكتاب مقوية وعاضدة من باب تقوية البينة، وقد تم النصاب بدونها.

فهؤلاء العرب من أولهم إلىٰ آخرهم لم يتوقف إسلامهم علىٰ معرفة ما عند أهل الكتاب من الشواهد، وإن كان ذلك قد بلغ بعضهم وسمعه منهم قبل النبوة وبعدها، كما كان الأنصار يسمعون من اليهود صفة النبي ﷺ وبعثه ومخرجه، فلما عاينوه وأبصروه عرفوه بالنعت الذي أخبرهم به اليهود فسبقوهم إليه، فشرق أعداء الله بريقهم وغصوا بمائهم، وقالوا: ليس هو الذي كنا نعدهم به.

والعلم بنبوة محمد والمسيح وموسىٰ لا يتوقف علىٰ العلم بأن من قبلهم أخبرهم وبشر بنبوتهم، بل طرق العلم بها متعددة، فإذا عرفت نبوة النبي ﷺ بطريق من الطرق ثبتت نبوته ووجب اتباعه، وإن لم يعلم أن من قبله بشر به»[1].

* * *

(١) هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ (٢/ ٤٣٣).

• **ثانيًا: حصر دلائل النبوة في المعجزة، وهذا ما ذهب إليه أهل الكلام**[١]:

ولا شك أن المعجزة طريق من طرق إثبات النبوة، ودليل من دلائلها، وليس إثبات النبوة محصورا فيها؛ إذ إن مدعي النبوة إما أن يكون صادقا وإما أن يكون كاذبا، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق متعددة.

ومن الطرق غير المعجزة: أن مدعي النبوة لابد أن يخبر الناس بأمور، ويأمرهم بأشياء، ولابد أيضًا أن يفعل هو أمورًا، فالكذَّاب يظهر كذبه فيما يخبر به، وفي نفس ما يأمر به، وفيما يفعله أيضًا، وليتأمل المتأمل في حال من ادعىٰ النبوة وهو كاذب، كمسيلمة الكذاب وغيره.

يقول الله تعالىٰ: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

كذلك من الطرق: أن العالم لم يخلُ من آثار نبي، وقد علم جنس دعوات الرسل، وما كانوا يدعون إليه ويأمرون به.

---

(١) **قال أبو المعالي الجويني:** «فصل، لا دليل علىٰ صدق النبي غير المعجزة.

فإن قيل: هل في المقدور نصب دليل علىٰ صدق النبي غير المعجزة؟ قلنا: ذلك غير ممكن» الإرشاد (ص ٣٣١) وقال ابن أبي العز عن المتكلمين: «والطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر، تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثيرا منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقرروا!! ذلك بطرق مضطربة» شرح الطحاوية (ص١٥٠).

لكن الأشاعرة تناقضوا!! فقد قال الشهرستاني: «لا ينحصر طريق التعريف في المعجزات، بل يجوز أن يخلق لهم علما ضروريا بصدق النبي، فلا يحتاج المذكر إلىٰ طلب المعجزة ليعرف بها صدقه، أو ينصب لهم أمارات أخر غير خارقة للعادة» نهاية الإقدام (ص٤٤٢).

وهذا مناقض لقول الأشاعرة: «لا دليل علىٰ صدق النبي إلا المعجزة».

فلا تكاد تسلم مسألة من المسائل التي ادعوا أنها من القطعيات! إلا وتناقضوا فيها.

وقد بينت شيئًا من تناقضهم في رسالتي «تبصير ذوي العقول بحقيقة مذهب الأشاعرة في الاستدلال بكلام الله والرسول ﷺ».

فلو قدر أن رجلًا جاء في زمان إمكان بعث الرسل، وأمر بالشرك وعبادة الأوثان، وأباح الفواحش والظلم والكذب.

هل كان مثل هذا يحتاج لأن يطالب بمعجزة، ولو قدر أنه أتىٰ بما يظن أنه معجزة لعلم أنه من جنس المخاريق، ولهذا لما كان الدجال يدعي الألوهية لم يكن ما يأتي به من خوارق العادات دالا علىٰ صدقه؛ لأنه كاذب[١].

ومن الطرق أيضًا: أحوال الأنبياء؛ فإنها تدل علىٰ صدقهم، ومن ذلك:

أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصاراتهم، وخذلان أعدائهم، هي أخبار كلها صادقة، لم يقع في شيء منها تخلف.

أما المتنبئون الكذابون الغالب في أخبارهم الكذب[٢].

والفرق بين النبي والمتنبئ حاصل في نفس صفات هذا، وصفات هذا، وأفعال هذا، وأفعال هذا، وأمر هذا، وأمر هذا، وخبر هذا، وخبر هذا، وآيات هذا، وآيات هذا[٣].

ولما حصر المتكلمون طرق إثبات النبوة ودلائلها في المعجزة التزم كثير منهم إنكار خرق العادة لغير الأنبياء حتىٰ آل بهم الأمر إلىٰ إنكار الكرامات، والسحر، ونحو ذلك، كما ذهب إلىٰ ذلك المعتزلة ومن وافقهم كابن حزم وغيره.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: «إن العادة لا تخرق إلا عند إرسال الرسل، ولا تنخرق لغير هذا الوجه»[٤].

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية (ص٥٤٤).

(٢) انظر: شرح الأصبهانية (ص٥٧٠).

(٣) انظر: النبوات (١/ ١٧٣).

(٤) المغني في أبواب التوحيد والعدل (١٥/ ١٨٩).

وقال ابن حزم: «وأن المعجزات لا يأتي بها أحد إلا الأنبياء عليهم السلام»[(١)].

وأدىٰ به هذا القول إلىٰ أن يزعم أن السحر مجرد تخييل، لا حقيقة له.

قال ابن حزم: «والسحر حيل وتخييل، لا يحيل طبيعة أصلا. قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦﴾ [طه: ٦٦] فصح أنها تخييلات لا حقيقة لها، ولو أحال الساحر طبيعة لكان لا فرق بينه وبين النبي ﷺ، وهذا كفر ممن أجازه»[(٢)].

وقال الإيجي الأشعري عند كلامه عن الكرامات: «وأنها جائزة عندنا واقعة خلافًا للأستاذ أبي إسحاق، والحليمي منا، وغير أبي الحسين من المعتزلة»[(٣)]

فهؤلاء ينكرون أمورا متواترة، وهي موجودة وواقعة.

قال السبكي الأشعري في الرد علىٰ هؤلاء: «الدليل علىٰ ثبوت الكرامات وجوه:

أحدها وهو أوحدها: ما شاع وذاع بحيث لا ينكره إلا جاهل معاند من أنواع الكرامات، للعلماء والصالحين، الجاري مجرىٰ شجاعة علي، وسخاء حاتم، بل إنكار الكرامات أعظم مباهتة، فإنه أشهر وأظهر، ولا يعاند فيه إلا من طمس قلبه، والعياذ بالله»[(٤)].

وأما الأشاعرة فأرادوا أن يردوا علىٰ المعتزلة؛ فزعموا: أن خرق العادة جائز مطلقًا. وكل ما خُرق لنبي من العادات يجوز أن يُخرق لغيره من الصالحين، بل وحتىٰ السحرة والكهنة، إلا أن المعجزة تتميز باقتران دعوىٰ النبوة بها.

فليس هناك فرق عندهم بين جنس المعجزات وجنس الكرامات.

---

(١) المحلىٰ بالآثار (١/ ٥٧).

(٢) المحلىٰ بالآثار (١/ ٥٨).

(٣) المواقف (٣/ ٤٦٤).

(٤) طبقات الشافعية (٢/ ٣٣٤).

قال عبد القاهر البغدادي: «اعلم أن المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادة»[١].

وقال أبو المعالي الجويني: «وصار بعض أصحابنا إلىٰ أن ما وقع معجزة لنبي لا يجوز وقوعه كرامة لولي، فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر، وتنقلب العصا ثعبانًا، ويحيي الموتي كرامة لولي، إلىٰ غير ذلك من آيات الأنبياء.

وهذه الطريقة غير سديدة أيضًا، والمرضي عندنا: تجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات»[٢].

وقال: «فإن قيل: فما الفرق بين الكرامة والمعجزة؟

قلنا: لا يفترقان في جواز العقل إلا بوقوع المعجزة علىٰ حسب دعوىٰ النبوة»[٣].

وقد ردَّ عليهم السبكي الأشعري! فقال: «وأنا أقول: معاذ الله أن يتحدىٰ نبي بكرامة تكرَّرت علىٰ يد ولي، بل لا بد أن يأتي النبي بما لا يوقعه الله علىٰ يد الولي، وإن جاز وقوعه فليس كل جائز في قضايا العقول واقعًا، ولما كانت مرتبة النبي أعلىٰ وأرفع من مرتبة الولي كان الولي ممنوعًا مما يأتي به النبي علىٰ وجه الإعجاز والتحدي، أدبًا مع النبي»[٤].

بل لا فرق عند الأشاعرة بين جنس المعجزة وجنس السحر.

قال أبو المعالي الجويني: «فلا يمتنع ظانٌّ يترقىٰ الساحر في الهواء، ويتحلق في جو السماء، ويسترق ويتولج في الكواء والخوخات، إلىٰ غير ذلك مما هو من

---

(١) أصول الدين (ص١٩٨).

(٢) الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٣١٧).

(٣) الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٣١٩).

(٤) طبقات الشافعية (٢/ ٣٢٠).

قبيل مقدورات البشر؛ إذ الحركات في الجهات من قبيل مقدورات الخلق.

ولا يمتنع عقلًا أن يفعل الرب تعالىٰ عند ارتياد الساحر ما يستأثر بالاقتدار عليه، فإن كل ما هو مقدور للعبد فهو واقع بقدرة الله تعالىٰ عندنا.

والدليل علىٰ جواز ذلك، كالدليل علىٰ جواز الكرامة، ووجه الميز هاهنا بين السحر والمعجزة كوجه الميز في الكرامة»[1].

وهذا راجع إلىٰ أصلهم الفاسد: وهو تجويز أن يفعل الله كل ممكن؛ بناء علىٰ إنكار الحكمة في أفعال الله[2].

والحق الذي لا مرية فيه: أن الأولياء لا يخرجون عن طريق وشرع الأنبياء، فما يحصل لهم من خوارق فهو من معجزات الأنبياء، وهو مؤكد للمعجزات، فهم ما حصلت لهم هذه الكرامات إلا باتباع الأنبياء، ولو لم يتبعوهم ما حصلت لهم.

فهؤلاء إن قدر أنه جرىٰ علىٰ أيديهم ما هو من جنس ما جرىٰ للأنبياء، كما صارت النار بردًا وسلامًا لأبي مسلم الخولاني، وكما يكثر الله الطعام والشراب للأولياء كما جرىٰ في بعض المواطن للنبي ﷺ.

فلا تبلغ كرامات أحدهم إلىٰ مثل معجزات المرسلين، وإنما الاشتراك كان في جنس بعض الخوارق، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلىٰ درجاتهم، وإن شاركوهم في بعضها[3].

قال ابن تيمية: «فهم مختصون - أي: الأنبياء - إما بجنس الآيات فلا يكون لمثلهم، كالإتيان بالقرآن، وانشقاق القمر، وقلب العصا حية، وانفلاق البحر، وأن يخلق من الطين كهيئة الطير.

---

(١) الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٣٢١-٣٢٢).

(٢) انظر: الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٣١٩).

(٣) انظر: النبوات (١/ ١٦١-١٦٢).

وإما بقدرها وكيفيتها، كنار الخليل، فإن أبا مسلم الخولاني وغيره صارت النار عليهم بردًا وسلامًا، لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها»[(١)].

وقد ذكر بعض العلماء أن كرامات الأولياء معجزات لأنبيائهم.

قال أبو عبد الله القرطبي: «وكرامة الولي معجزة النبي»[(٢)].

وقال ابن كثير: «وقد ذكر غير واحد من العلماء أن كل معجزة لنبي من الأنبياء فهي في الحقيقة معجزة لخاتمهم محمد ﷺ؛ وذلك أن كلا منهم بشر بمبعثه، وأمر بمتابعته»[(٣)].

وأما الفرق بين معجزات الأنبياء وما يجري علىٰ أيدي السحرة، فيقال: جنس آيات الأنبياء خارجة عن مقدور جنس الحيوان.

فخوارق السحرة إنما هي من جنس أفعال الحيوان، مثل: طيرانه في الهواء، هذا فعل مقدور عليه للحيوان، فإن الطير يفعل ذلك، وكذلك الجن[(٤)].

قال أبو العباس ابن تيمية: «والآيات الخارقة جنسان: جنس في نوع العلم، وجنس في نوع القدرة.

فما اختص به النبي ﷺ من العلم خارج عن قدرة الإنس والجن، وما اختص به من المقدورات خارج عن قدرة الإنس والجن»[(٥)].

وقد اضطرب المتكلمون - كعادتهم في باب الاعتقاد، وما زعموا أنه قطعيات! - في دلالة المعجزة علىٰ صدق مدعي النبوة.

---

(١) النبوات (٢/ ٩٦٣-٩٦٤).

(٢) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٠٦).

(٣) البداية والنهاية (٩/ ٣٠٧).

(٤) انظر: النبوات (١/ ١٦٤).

(٥) النبوات (١/ ١٧١).

فذهبت المعتزلة إلىٰ أن إظهار المعجزة علىٰ يد المتنبئ الكذاب قبيح، والله سبحانه منزَّه عن فعل القبيح.

قال القاضي عبد الجبار: «وإذا لم يجز منه تعالىٰ أن يصدق كاذبًا، ولا أن يفعل ما ظاهره التصديق له، فيجب القضاء بأن ما يتعلق بدعواه، هذا التعلق، ألا يفعله تعالىٰ إلا لوجه التصديق، وإلا كان قبيحًا موهمًا للفساد به»[1].

وأصل ضلال هؤلاء أنهم شبهوا المخلوق بالخالق.

ولهذا المعتزلة قد بحثوا مباحث النبوة في باب العدل.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: «ووجه اتصاله بباب العدل: هو أنه كلام في أنه تعالىٰ إذا علم أن صلاحنا يتعلق بهذه الشرعيات، فلا بد من أنْ يعرفناها؛ لكي لا يكون مخلًّا بما هو واجب عليه، ومن العدل ألا يخل بما هو واجب عليه»[2].

ويمكن تقرير كونه سبحانه منزها عن تأييد الكذاب بالمعجزة من غير طريق المعتزلة الفاسد؛ وذلك بما علم من حكمة الله في مخلوقاته، ورحمته، وسنته في عباده؛ فإن ذلك دليل علىٰ أنه لا يؤيد كذابًا بمعجزة لا معارض لها.

فسنة الله في الأنبياء الصادقين، وأتباعهم من المؤمنين أنه ينصرهم، ويبقي ذكرهم.

فتأييد المتنبئ الكاذب بالمعجزة فيه من الفساد والضرر بالعباد ما تمنعه رحمته، وفيه من سوء العاقبة ما تمنعه حكمته، وفيه من نقض سنته المعروفة

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل (١٥/ ١٧٣).
(٢) شرح الأصول الخمسة (ص ٥٦٣).

وعادته المضطردة ما تمتنع به مشيئته[١].

وأما الأشاعرة فقد سلكوا طريقين في دلالة المعجزة علىٰ صدق مدعي النبوة، وهذا من تناقضهم واضطرابهم.

الطريق الأول: امتناع تعجيز الإله عن نصب الدلالة علىٰ صدق الرسل، فإن تصديقهم ممكن، وذلك معلوم بالضرورة والاستدلال، ولا دليل إلىٰ التصديق إلا خلق المعجزات، وظهورها علىٰ يد الكذاب يبطل دليل صدقهم، فلا يبقىٰ في المقدور طريق يصدقون به، فيلزم عجز الإله عن الممكن، وذلك ممتنع.

وقد عوَّل علىٰ هذه الطريقة: الأشعري، وابن فورك، وغيرهم من المتقدمين[٢].

وهذا مناقض لقول الأشاعرة أنفسهم، فإنهم جوزوا علىٰ الله فعل كل ممكن، فلا يكون هناك فرق بين أن يظهر المعجزة علىٰ يد صادق أو كاذب.

فلا تبقىٰ حجة علىٰ أصولهم الفاسدة علىٰ جواز إرسال الرسول وتصديقه بالمعجزات[٣].

وقد اعترض الأشاعرة علىٰ كلام شيخهم وإمامهم! وضعفوه، يقول الرازي: «أما الشيخ أبو الحسن فقد ادعىٰ أن ذلك من المستحيلات، وفيما ذكره نظر؛ لأن خرق العادة في الجملة مقدور لله تعالىٰ»[٤].

الطريق الثاني: أن المعجزات تدل من حيث نُزِّلت منزلة التصديق بالقول، والعلم بذلك يقع ضروريًّا بقرائن أحوال كالعلم بغضب الغضبان، ولا يتوقف

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية (ص٦٩٥-٧٠١).

(٢) انظر: شرح الأصبهانية (ص٧٠٨) والإشارة في علم الكلام للرازي (ص٣١٦) وأبكار الأفكار للآمدي (٤/ ٦٢).

(٣) انظر: النبوات (٢/ ٥٨١).

(٤) الإشارة في علم الكلام (ص٣١٦).

العلم بما هذا سبيله على نظر واستدلال.

قالوا: ووجه ذلك: أن الفعل الخارق للعادة إذا علم أنه من قبل الله، علم أنه قاصد بذلك تصديقه، وأن ما يفعله من الآيات في مثل هذه الحال قائم مقام تصديقه له بالقول.

فالمعجزات جارية مجرى أدلة الأقوال.

هذا حاصل كلام أبي بكر الباقلاني في أحد قوليه، وأبي المعالي الجويني، ونحوهما.[1]

قال أبو المعالي الجويني: «فوجه دلالة المعجزات على صدق مدعي النبوات: نزولها منزلة التصديق بالقول»[2].

وقال: «فإن قيل: فما وجه دلالتها إذا؟ قلنا: هذا مما كثر فيه خبط من لا يحسن علم هذا الباب.

والمرضي عندنا: أن المعجزة تدل على الصدق من حيث تتنزل منزلة التصديق بالقول»[3].

ثم اختلفت أقوال أئمة الأشاعرة - أو قُلْ: تناقضت -، في كون الغلط والنسيان من النبي هل هو مناقض لدلالة المعجزة أو هو داخل تحت التصديق المقصود بالمعجزة.

قال الإيجي: «وفي جواز صدوره عنهم - أي: الكذب - على سبيل السهو والنسيان خلاف، فمنعه الأستاذ وكثير من الأئمة لدلالة المعجزة على صدقهم.

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية (ص٧٠٩-٧١٠).

(٢) العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية (ص ٦٧).

(٣) الإرشاد (ص ٣٢٤).

وجوزه القاضي مصيرًا منه إلىٰ عدم دخوله في التصديق المقصود بالمعجزة»[١].

عرفنا مما تقدم أن أهل الكلام يحصرون أدلة صدق النبي في المعجزة، فما هي حقيقة المعجزة عندهم:

قال الباقلاني في تعريف المعجزة: «هي أفعال الله تعالىٰ الخارقة للعادة المطابقة لدعوىٰ الأنبياء، وتحديهم للأمم بالإتيان بمثل ذلك»[٢].

وقال أبو المعالي الجويني: «هي أفعال الله تعالىٰ الخارقة المستمرة الظاهرة علىٰ حسب دعوىٰ النبوة»[٣].

وقال التفتازاني: «هي أمر يظهر بخلاف العادة علىٰ يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين علىٰ وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله»[٤].

وينتقد عليهم: أن كون المعجزة خارقًا للعادة ليس منضبطًا.

فإن أريد به أنه لم يوجد له نظير في العالم، فهذا أيضًا باطل؛ فإن آيات الأنبياء بعضها نظير بعض، بل النوع الواحد منه؛ كإحياء الموتىٰ: هو آية لغير واحد من الأنبياء.

وإن قيل: إن بعض الأنبياء كانت آيته لا نظير لها؛ كالقرآن، والعصا، والناقة، لم يلزم ذلك في سائر الآيات.

وإن قالوا: معنىٰ كون المعجزة خارقة للعادة: أنها خارقة لعادة أولئك المخاطبين بالنبوة؛ بحيث ليس فيهم من يقدر علىٰ ذلك.

---

(١) المواقف (٣/ ٤١٥).

(٢) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص ٥٨).

(٣) لمع الأدلة (ص١٢٤).

(٤) شرح المواقف.

قيل: إن هذا ليس بحجة؛ فإن أكثر الناس لا يقدرون على الكهانة، والسحر، ونحو ذلك.

ولهذا لم يكن في كلام الله، ورسوله، وسلف الأمة، وأئمتها وصف آيات الأنبياء بمجرد كونها خارقة للعادة، ولا يجوز أن يجعل مجرد خرق العادة هو الدليل؛ فإن هذا لا ضابط له، وهو مشترك بين الأنبياء وغيرهم[١].

ثم إن حقيقة المعجزة عند هؤلاء لا تتميز بوصف تختص به، وإنما امتازت باقترانها بدعوى النبوة، فالمعجز إن اقترن به دعوى النبوة كان دليلًا، وإلا لم يكن دليلًا.

قال أبو المعالي الجويني: «وليس في وقوع الكرامة ما يقدح في المعجزة، فإن المعجزة لا تدل لعينها، وإنما تدل لتعلقها بدعوى النبي الرسالة»[٢].

وهذا منقوض من وجوه:

الوجه الأول: يلزم على قولهم أن آيات الأنبياء مساوية في الحد والحقيقة لسحر السحرة.

وقد التزموا هذا، قال أبو المعالي الجويني: «فلا يمتنع ظانٌّ يترقى الساحر في الهواء، ويتحلق في جو السماء، ويسترق ويتولج في الكواء والخوخات، إلى غير ذلك مما هو من قبيل مقدورات البشر؛ إذ الحركات في الجهات من قبيل مقدورات الخلق.

ولا يمتنع عقلًا أن يفعل الرب تعالى عند ارتياد الساحر ما يستأثر بالاقتدار عليه، فإن كل ما هو مقدور للعبد فهو واقع بقدرة الله تعالى عندنا.

---

(١) انظر: النبوات (١/١٩٦-١٩٩).

(٢) الإرشاد (ص٣١٩).

والدليل على جواز ذلك، كالدليل على جواز الكرامة، ووجه الميز هاهنا بين السحر والمعجزة كوجه الميز في الكرامة»[1].

وهذا أمر معلوم الفساد بالاضطرار من دين الرسل.

الوجه الثاني: هذا من أعظم القدح في الأنبياء؛ إذ كانت آياتهم من جنس سحر السحرة.

الوجه الثالث: على هذا التقدير يمكن الساحر دعوى النبوة، وأما زعم الأشاعرة أنه عند ذلك يسلبه الله القدرة على السحر، أو يأتي بمن يعارضه: دعوى مجردة؛ فإن المنازع يقول: لا أسلم، لاسيما وعلى أصل الأشاعرة أن الله يجوز أن يفعل كل مقدور، وهذا مقدور للرب فيجوز أن يفعله[2].

وعلى القول بسلب الله القدرة على السحر، أو يأتي بمن يعارضه: يكون حقيقة قولهم أن المعجز في الحقيقة ليس إلا منع الناس من المعارضة بالمثل، سواء كان المعجز في نفسه خارقًا أو لا.

وقد التزم هذا الجويني ومن وافقه حيث قال في رسالته النظامية: «المعجزة تنقسم قسمين: أحدهما ما يكون فعلًا بديعًا خارقًا للعادة. والثاني: يكون منعًا من المعتاد»[3].

وهذا قول من يقول بالصرفة، وهي صرف الخلق عن الإتيان بالمثل مع قدرتهم على ذلك.

---

(١) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٣٢١-٣٢٢).

(٢) انظر: النبوات (١/ ٢٦٧-٢٧٣). يقول ابن تيمية: «وأما خلق مثل تلك الخارقة على يد الكاذب فهو ممكن، والله سبحانه قادر عليه، لكنه لا يفعله لحكمته، كما أنه سبحانه يمتنع عليه أن يكذب، أو يظلم» النبوات (١/ ٢٨٠).

(٣) (ص ٦٤).

وقد التزمه أيضًا الجويني فقال: «فتبين قطعًا: أن الخلق ممنوعون عن مثل ما هو من مقدورهم، وذلك أبلغ عندنا من خرق العوائد بالأفعال البديعة في أنفسها»(١).

وهذا يدل على اضطرابهم الدال على تهافت مذهبهم، فما يذكره أحدهم في كتاب إلا وينقضه في كتابه الآخر.

وإذا كان كذلك جاز أن يكون كل أمر كالأكل والشرب معجزة إذا منعهم أن يفعلوا كفعله، وحينئذ لا معنى لكونه خارقًا، بل الاعتبار بمجرد المعارضة، وهم يقرون بخلاف ذلك(٢).

الوجه الرابع: أن آيات الأنبياء ليس من شرطها استدلال النبي بها، ولا تحديه بالإتيان بمثلها، بل هي دليل على نبوته، وإن خلت عن هذين القيدين.

فالله كان يظهر على يدي النبي ﷺ تكثير الطعام، ونبع الماء من بين أصابعه، ولم يكن يظهرها للاستدلال بها، ولا ليتحدى بمثلها، بل لحاجة المسلمين إليها.

ويلزم على قولهم أن ما كان يظهر على يد النبي ﷺ في كل وقت ليس دليلا على نبوته؛ لأنه لم يكن كل ما ظهر شيء من ذلك احتج به، وتحدى الناس بالإتيان بمثله، بل لم ينقل عنه التحدي إلا في القرآن خاصة.

بل إن آيات الأنبياء لا تختص بحياتهم، وإنما تكون في حياة الرسول وبعد مماته(٣).

قال ابن حزم في الرد عليهم: «ومن ادعى أن إحالة الطبيعة لا تكون آية

(١) الرسالة النظامية (ص ٧٢-٧٣).
(٢) انظر: النبوات (١/ ٢٨٢-٢٨٤).
(٣) انظر: النبوات (٢/ ٦٠٠-٦٠١)، (٦٥٢) والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٦/ ٣٨٠).

إلا حتىٰ يتحدىٰ فيها النبي ﷺ الناس فقد كذب، وادعىٰ ما لا دليل عليه أصلًا، لا من عقل، ولا من نص قرآن ولا سنة، وما كان هكذا فهو باطل.

ويجب من هذا: أن حنين الجذع، وإطعام النفر الكثير من الطعام اليسير حتىٰ شبعوا وهم مئون من صاع شعير، ونبعان الماء من بين أصابع رسول الله ﷺ وإرواء ألف وأربعمائة من قدح صغير تضيق سعته عن شبر، ليس شيء من ذلك آية له عليه السلام؛ لأنه عليه السلام لم يتحد بشيء من ذلك أحدًا»[1].

وقال السبكي الأشعري رادًّا عليهم أيضًا: «وأن قول من قال: لا فارق بين المعجزة والكرامة إلا التحدي ليس علىٰ وجهه»[2].

وينتقد أيضًا علىٰ تعريف الباقلاني والجويني: عدم ذكر أنه لا يمكن معارضتها.

ثم إن مما يجب أن يعلم: أنه لابد في آيات الأنبياء من أن تكون مع كونها خارقة للعادة أمرا غير معتاد لغير الأنبياء، بحيث لا يقدر عليه إلا الله الذي أرسل الأنبياء.

ومن خصائص معجزات الأنبياء: أنه لا يمكن معارضتها[3].

فهذان هما الشرطان في المعجزة: اختصاصها بالنبي، وسلامتها من المعارضة.

قال ابن تيمية: «فإذا عجز النوع البشري غير الأنبياء عن معارضتها، كان ذلك أعظم دليل علىٰ اختصاصها بالأنبياء، بخلاف ما كان موجودًا لغيرها، فهذا

---

(١) المحلىٰ بالآثار (١/ ٥٨).

(٢) طبقات الشافعية (٢/ ٣١٦).

(٣) انظر: النبوات (١/ ٢٢٧).

لا يكون آية البتة»[١].

ومما يشهد لهذا: طلب فرعون أن يعارَض ما جاء به موسىٰ لما ادعىٰ فرعون أن موسىٰ ساحر، فجمع السحرة ليفعلوا مثل ما يفعل موسىٰ.

أمرهم موسىٰ أن يأتوا أولا بخوارقهم. فلما أتت، ألقىٰ موسىٰ عصاه فصارت حية تسعىٰ، وابتلعت عصيهم.

علم السحرة أن هذا ليس من جنس مقدورهم، فآمنوا إيمانًا جازمًا[٢].

فيتلخَّص مما سبق: أن تسمية آيات الله خوارق للعادات، للناس في ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: أن ذلك حد لها مطرد منعكس، فكل خرق للعادة فهو معجزة للنبي، وهذا قول المعتزلة ومن وافقهم.

الثاني: كونها خارقًا للعادة ليس بحد ولا شرط، وهذا قول الأشاعرة ومن وافقهم.

الثالث: خرق العادة شرط، وليس بحد لها، ولكن ليس كل خارق للعادة يكون آية لنبي، بل لابد من وقوعه علىٰ وجه مخصوص، وهذا قول أهل السنة والجماعة[٣].

وقد اشترط المتكلمون للمعجزة شروطًا ما أنزل الله بها من سلطان، ولا تسلم من الإشكالات، ومن هذه الشروط:

١ - أن تكون المعجزة مما انفرد الله بالقدرة عليها.

قال الباقلاني: «أن المعجز لا يكون عندنا معجزًا حتىٰ يكون مما ينفرد الله ﷻ

(١) النبوات (١/ ٢٢٧).

(٢) انظر: النبوات (١/ ١٩٥).

(٣) انظر: النبوات (٢/ ٩٤٢).

بالقدرة عليه، ولا يصح دخوله تحت قدرة الخلق»[١].

وهذا منقوض: بكونهم لما طولبوا بالدليل علىٰ أنه لا يجوز أن تقدر العباد علىٰ مثل: إبراء الأكمه، والأبرص، وإحياء الموتىٰ، ونحو ذلك مما ذكروا أنه يمتنع أن يكون مقدورًا لغير الله، اعتمدوا في الدلالة علىٰ (أن القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده) ، فلو جاز أن يكون العبد قادرا علىٰ هذه الأمور، لوجب أن لا يخلو من ذلك ومن ضده؛ وهو العجز، أو القدرة علىٰ ضد ذلك الفعل[٢].

وهذا الشرط الذي ذكروه ينقض ما قرره الأشاعرة أنفسهم فيما يتعلق بفعل الله ، وفعل العبد.

فأفعال العباد عندهم هي مقدورة للرب.

يقول أبو المعالي الجويني: «فإن كل ما هو مقدور للعبد فهو واقع بقدرة الله تعالىٰ عندنا»[٣].

ويقول الرازي: «واعلم أنا قد بينا أن جميع الحوادث واقعة بقدرة الله تعالىٰ، وبينا أن من جملة المعجزات ما تقع مقدورة للبشر، فلا فائدة لهذه الشريطة إلا شيء واحد وهو: أن دلالتها علىٰ الصدق لا من حيث كونها مقدورة للعبد، بل من حيث وقوعها بقدرة الله»[٤].

ولهذا عدل عن هذا الشرط الجويني ومن جاء بعده كالرازي، فلم يذكروه في شروط المعجزة؛ لأن جميع الحوادث مما ينفرد الرب بالقدرة عليها.

بل إن الرازي قال: «اعلم أن آيات النبوة المسماة بالمعجزات قد تكون من

---

(١) البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات (ص٤٥).

(٢) انظر: النبوات (١/ ٢٥٤).

(٣) الإرشاد (ص٣٢٢).

(٤) الإشارة في علم الكلام (ص٣٠٥).

قبيل مقدورات البشر كالتصعد في الهواء، والمشي على الماء، وقد لا تكون من قبيل مقدورات البشر كإحياء الموتى»[(١)].

وقال الآمدي: «فإنه ما من أمر يقدر من الأفعال الخارقة وغير الخارقة إلا وهو مقدور له تعالى أن يظهره على يدي من شاء من عباده على حسب إيثاره واختياره، وإنكار ذلك يجر إلى التعجيز، وإبطال كون الفعل مقدورًا لله تعالى، وهو مستحيل»[(٢)].

فكما ترى أن الأشاعرة أنفسهم متناقضون، وقد اضطربوا فيما كان من أفعال العباد لكنه خارق للعادة، كقطع المسافة البعيدة في الساعة القصيرة، هل يكون معجزة أو لا؟

فذهب بعضهم أنه يصح أن يكون معجزة.

وذهب بعضهم أن المعجزة إنما هي إقدار المخلوق على ذلك.

قال أبو المعالي الجويني: «فإن قيل: هل يجوز أن يكون المشي على الماء، والتصعد في الهواء والترقي في جو السماء معجزة؟

قلنا: لا يبعد تقرير ذلك معجزة إذا تكاملت صفات المعجزات، والحركات في الجهات من قبيل مقدورات البشر، وأما نفس الحركات فمن اعتقد كونها من فعل الله تعالى لم يبعد أن يعتقد كونها معجزة من حيث كانت فعلا لله تعالى، لا من حيث كانت كسبًا للعباد»[(٣)].

وقال الآمدي مضعفًا كلام الجويني ومن وافقه: «هل يتصور أن تكون المعجزة مقدورة للرسول أو لا؟ وذلك كما لو كانت معجزته صعوده في الهواء،

---

(١) الإشارة في علم الكلام (ص٣٠٣).

(٢) غاية المرام (ص ٢٨٧).

(٣) الإرشاد (ص٣٠٨-٣٠٩).

أو المشي على الماء، فقد اختلفت الأئمة في ذلك.

فذهب بعضهم: إلى أن نفس الحركة بالصعود والمشي ليست معجزة؛ لكونها مقدورة له بخلق الله تعالى له القدرة عليها، وإنما المعجزة هي نفس القدرة عليها؛ فإن قدرته على ذلك غير مقدورة له.

ومنهم من قال: بأن هذه الحركات معجزة من جهة كونها خارقة للعادة، ومخلوقة لله تعالى، وإن كانت مقدورة للنبي، وهو الأصح»[١].

٢- أن تكون المعجزة خارقة للعادة.

قال الباقلاني: «أن يكون ذلك الشيء الذي يظهر على أيديهم مما يخرق العادة وينقضها، ومتى لم يكن كذلك لم يكن معجزًا»[٢].

ونقض هذا الشرط من وجوه:

الوجه الأول: وصف الآية بكونها خارقة للعادة، أو غير خارقة وصف محدث، لم يأت في نصوص الكتاب والسنة، ولم يرد في أقوال أئمة السلف.

الوجه الثاني: أن هذا وصف - خارق للعادة؛ بمعنى أنها ليست معتادة للآدميين - لا ينضبط، وهو عديم التأثير؛ فإن نفس النبوة معتادة للأنبياء، خارقة للعادة بالنسبة إلى غيرهم.

الوجه الثالث: ليس في هذا ما يدل على أن كل خارق آية؛ فالكهانة، والسحر هو معتاد للسحرة والكهان، وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم[٣].

---

(١) أبكار الأفكار في أصول الدين (٤/ ١٩).
(٢) البيان (ص٤٥).
(٣) النبوات (١/ ١٨٧).

ثم إنهم اضطربوا في معنىٰ العادة.

فقد تقدم ذكر كلام الباقلاني ومن وافقه، في أن العبرة بكون المعجز مما ينفرد الله به.

وذهب الشهرستاني إلىٰ أن العبرة بنقض عادة من أرسل إليهم الرسول فقال: «والمعتبر في كون الآية حجة أن يكون ذلك نقضًا لعادة من كانت الآية حجة عليه»[1].

وذهب الغزالي أنها خارجة عن مقدور البشر دون الجن فقال: «خارج عن مقدور البشر، واقترن بدعوىٰ النبوة»[2].

والرد عليهم: أن آيات الأنبياء خارجة عن مقدور الجن والإنس؛ كما قال تعالىٰ ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

٣- أن يكون غير الرسول ممنوعًا من إظهار ما أظهره الرسول.

قال الباقلاني: «أن يكون غير النبي ممنوعًا من إظهار ذلك علىٰ يده علىٰ الوجه الذي ظهر عليه، ودعا إلىٰ معارضته مع كونه خارقًا للعادة»[3].

ونقض هذا الشرط: أن كون غير الرسول ممنوعًا منه: إن اعتبروا أنه ممنوع مطلقًا؛ فهذا لا يعلم.

وإن اعتبروا أنه ممنوع من المرسل إليهم؛ فهذا لا يكفي، بل يمكن كل ساحر، وكاهن أن يدعي النبوة، ويقول إنني كذا.

---

(١) نهاية الإقدام (ص٤٣١).

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٠٧).

(٣) البيان (ص ٤٦).

قالوا: لو فعل الساحر هذا، لكان الله يمنعه فعل ذلك، أو يقيض له من يعارضه.

قلنا: من أين لكم ذلك؟ ومن أين يعلم الناس ذلك؟ ويعلمون أن كل كاذب فلا بد أن يمنع من فعل الأمر الذي اعتاده هو وغيره قبل ذلك؟ أو أن يعارض؟

والواقع خلاف ذلك؛ فما أكثر من ادعىٰ النبوة، أو الاستغناء عن الأنبياء، وأن طريقه فوق طريق الأنبياء، وأن الرب يخاطبه بلا رسالة، وأتىٰ بخوارق من جنس ما تأتي السحرة، والكهان، ولم يكن فيما ادعاه من يعارضه، كمسيلمة الكذاب والعنسي(١).

٤- أن تكون عند تحدي الرسول.

يحترزون بهذا عن الكرامات.

قال الباقلاني: «أن يكون واقعا مفعولا عند تحدي الرسول بمثله آيات الأنبياء وإن لم يتحدوا بها فهي دلائل علىٰ النبوة»(٢).

ونقض هذا الشرط: أنه ليس من شرط دلائل النبوة التحدي، فهذه قد تقع في بعض الآيات، لكن لا يجب أن ما لا يقع معه لا يكون آية، بل هذا إبطال لأكثر آيات الأنبياء، كما تقدم في نقد تعريف المعجزة عند الأشاعرة.

فالأشاعرة ومن وافقهم لم يعرفوا خصائص الأنبياء، ولا خصائص آياتهم، فما ذكروه في النبوة مشتركًا بين الأنبياء وغيرهم.

فيلزم علىٰ هذا جعل من ليس نبي نبيًّا، أو جعل النبي ليس بنبي.

ولما كان ذلك كذلك لم تكن النبوة عند متأخري الأشاعرة لها في قلوبهم

---

(١) انظر: النبوات (٢/ ٧٢٣).

(٢) البيان (ص ٤٦).

من العظمة ما يجب لها، فلا يستدلون بها علىٰ الأمور العلمية الخبرية، فلا يستدلون بالكتاب والسنة،بل يتنقصونها ويستخفون بها، وإنما مدار استدلالاتهم علىٰ العقل(١).

وقد التزم الأشاعرة لوازم باطلة بسبب حصرهم دلالة صدق النبي بالمعجزة.

ومن تلك اللوازم ما ذكره أئمة الأشاعرة، ومنهم الرازي في أن النبي لا يُصدَّق، ولا يُتَّبع علىٰ شرعه؛ حتىٰ تظهر علىٰ يديه المعجزة.

قال الرازي: «واعلم أنه لو قال: آية صدقي أن الله تعالىٰ يحيي هذا الميت ما بين أن يهم الواحد منكم بالانتصاب إلىٰ أن ينتصب، كان ذلك من قبيل المعجزات بالاتفاق لحصولها علىٰ موافقة دعواه، لكنه لا خلاف في أن الخلق لا يكلفون بتصديقه قبل وقوع الموعود، ولا خلاف في أنها تبين من أنه كان صادقا في مقالته.

فأما إذا بين المدعي تفاصيل شرعه، وقال: آية صدقي ظهور آية خارقة للعادة بعد موتي، فلا خلاف في أنه لا يجب عليهم قبول شرعه قبل ظهور الآية؛ لعدم علمهم بصدقه»(٢).

• تنبيه:

هل خوارق العادات تدل علىٰ صلاح أصحابها؟

والجواب: أن ينظر لأعمالهم فإن كانت موافقة للسنة رُجِيَ لهم الخير والصلاح، وإلا كانت من جنس ما عليه السحرة والمشعوذون.

---

(١) انظر: النبوات (٢/ ٦١٢) وتبصير ذوي العقول بحقيقة مذهب الأشاعرة في الاستدلال بكلام الله والرسول ﷺ (ص ١٣- ٣٩).

(٢) الإشارة في علم الكلام (ص٣١٠).

قال أبو العباس ابن تيمية: «والتحقيق: أن من كان مؤمنًا بالأنبياء لم يستدل على الصلاح بمجرد الخوارق التي قد تكون للكفار والفساق، وإنما يستدل بمتابعة الرجل للنبي، فيميز بين أولياء الله وأعدائه بالفروق التي بينها الله، كقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ...﴾ وهذه طريقة الصحابة والسلف»(١)

* * *

---

(١) النبوات (١/ ١٧٤).

المبحث التاسع
تنبيه على بعض المسائل المتعلقة بالرسل

• **المسألة الأولى: أصل الإيمان والتقوى هو: الإيمان بالرسل.**

أصل الإيمان هو: الإيمان برسل الله؛ لأن الرسل مبلِّغون عن الله شرعه، فالإيمان بهم يتضمن الإيمان بكتب الله.

وجماع ذلك: الإيمان بخاتم الرسل محمد ﷺ؛ لأن الإيمان به يتضمن الإيمان بجميع كتب الله ورسله، فرسالته ﷺ مهيمنة وشاهدة على الرسالات التي قبله، وهو أيضا ﷺ شاهد ومصدق للرسل الذين قبله، وبأنهم قد بلغوا ما أرسلوا به من عند الله.

وإذا كان أصل الإيمان والتقوى هو الإيمان بالرسل، فأصل الكفر والنفاق هو: الكفر بالرسل، فإن هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الآخرة[1].

* * *

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص١١٣).

• **المسألة الثانية: الأنبياء والرسل أفضل من كل البشر.**

إن من المتقرر المعلوم ضرورة فضل الأنبياء علىٰ سائر البشر، ولهذا اصطفاهم الله لرسالته، وتبليغ وحيه.

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

قال الطبري: «فأنا أعلم بمواضع رسالاتي، ومن هو لها أهل، فليس لكم أيها المشركون أن تتخيَّروا ذلك عليّ أنتم، لأن تخيُّر الرسول إلىٰ المرسِلِ دون المرسَل إليه، والله أعلم إذا أرسل رسالةً بموضع رسالاته»[(١)].

وقال تعالىٰ: بعد أن ذكر عددا من الأنبياء: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٦﴾ [الأنعام: ٨٦].

ثم من المعلوم: أن ما عدا الأنبياء لا يكونون أولياء إلا باتباع ما جاء به الرسول، فكيف يكون الولي أعظم من الرسول؟!

وهذه المسألة من المسائل الواضحة التي لا تحتاج أن ينبه عليها، لو لا أننا ابتلينا بطائفة تنتسب إلىٰ الإسلام زعمت بهتانا وزورا أن الأولياء أفضل من الأنبياء.

وقد قرر العلماء أن الأنبياء أفضل من الأولياء، وحكىٰ بعضهم الإجماع، وهو كذلك:

قال ابن حزم: «ولا خلاف بين المسلمين في أن الأنبياء عليهم السلام أرفع قدرًا ودرجة وأتم فضيلة عند الله عز وجل وأعلىٰ كرامة من كل من دونهم، ومن خالف في هذا فليس مسلمًا»[(٢)].

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٩٦).

(٢) المحلىٰ (١/ ٤٥).

قال **أبو جعفر الطحاوي**: «ولا نفضل أحدًا من الأولياء علىٰ أحد من الأنبياء ﷺ ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء»[١].

وقال **أبو العباس القرطبي**: «النبي أفضل من الولي، وهذا أمر مقطوع به عقلا ونقلا، والصائر إلىٰ خلافه كافر، فإنه أمر معلوم من الشرائع بالضرورة»[٢].

وقال **أبو عبد الله القرطبي**: «والنبي أفضل من الولي»[٣].

وقال **الحافظ ابن حجر** في سياق كلامه علىٰ نبوة الخضر: «وينبغي اعتقاد كونه نبيًّا؛ لئلا يتذرع بذلك أهل الباطل في دعواهم: أن الولي أفضل من النبي، حاشا وكلا»[٤].

أما غلاة الصوفية فزعموا: أن الولي أفضل من النبي، وأن مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي، فرتبة الولاية أعظم من رتبة النبوة.

قال الحافظ ابن حجر: «وممن يفضل بعض الأولياء، أمثال الخضر ﷺ، علىٰ الأنبياء: الحكيم الترمذي في كتاب ختم الأولياء. قال: «يكون في آخر الأولياء، من هو أفضل من الصحابة»، وربما لوح بشيء من ذكر الأنبياء، فقام عليه المسلمون، وأنكروا ذلك عليه، ونفوه من البلد بسبب ذلك.

ومنهم: سعد الدين بن حمويه، وابن عربي صاحب الفصوص والفتوحات المكية القائل: (مقام النبوة في برزخ... فويق الرسول ودون الولي) »[٥].

---

(١) العقيدة الطحاوية (ص ٨٣).

(٢) المفهم (٦/ ٢١٧).

(٣) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ١٧).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٢٢٠).

(٥) الزهر النضر في خبر الخضر (ص٢٥).

ومنهم من يدعي أن الولاية أفضل من النبوة، ويلبس علىٰ الناس فيقول: ولاية محمد ﷺ أفضل من نبوته، ويقول: شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته.

وهذا من أعظم الضلال، فولاية نبينا ﷺ لم يماثله فيها أحد حتىٰ الأنبياء والرسل، فضلا أن يماثله فيها هؤلاء من غلاة الصوفية وغيرهم.

ثم أمَا علم هؤلاء أن الرسول نبي وولي، فرسالة الرسل متضمنة للنبوة، والنبوة متضمنة للولاية، فكيف تكون الولاية الداخلة في النبوة أعظم من النبوة المتضمنة للولاية(١).

وأصل دعوىٰ هؤلاء الغلاة: أن الولي يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي إلىٰ الرسول، فالولي يأخذ من الله بلا واسطة، وأما الرسل فبواسطة؛ بناء علىٰ عقيدة الفلاسفة في إثبات العقل الفعال، والنفوس. وأنه ليس هناك رب خلق السموات والأرض ، وليست هناك نبوة.

والمقصود بالمعدن عند غلاة الصوفية: العقل، والملك هو الخيال، والخيال تابع للعقل.

فهم بزعمهم يأخذون عن العقل الذي هو أصل الخيال، والرسول يأخذ عن الخيال، لهذا صارت الولاية عندهم أعظم من النبوة(٢).

وعقيدة الفلاسفة - كابن سينا وأمثاله - التي تلقاها هؤلاء عنهم: يجعلون نفس النبوة ثلاثة أمور:

أحدها: أن تكون له قوة عقلية، بل قدسية ينال بها العلم من غير تعلم.

---

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص١٩٧).

(٢) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص١٩٨-٢١٢).

والثاني: أن تكون له قوة خيالية، يتخيل بها الحقائق العقلية موجودة، خالية، موثقة، من أجناس منام النائم، فيرىٰ في نفسه ضوءًا، وذلك هو الرسالة عندهم، ويسمع في نفسه صوتا، وذلك هو كلام الله عندهم.

الثالث: أن تكون لنفسه قوة أن تؤثر في العالم.

ولهذا فالنبوة عندهم مكتسبة.[١]

وتصور هذا الضلال يكفي في نقضه ورده، وليس هو من الإسلام في شيء.

* * *

---

(١) انظر: شرح الأصبهانية (٥٧٣).

• **المسألة الثالثة: الأنبياء والرسل متفاضلون فيما بينهم.**

قد وردت الأدلة الشرعية دالة علىٰ المفاضلة بين الأنبياء، ومن ذلك:

قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

قال ابن كثير: «ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضلهم»[١].

فالأنبياء متفاضلون فيما بينهم، بعضهم أفضل من بعض.

ولا يشكل علىٰ هذا ما ورد من الأدلة من النهي عن المفاضلة، ومن ذلك:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: بينما رسول الله ﷺ جالس جاء يهودي، فقال: يا أبا القاسم ضرب وجهي رجل من أصحابك، فقال: «من؟»، قال: رجل من الأنصار، قال: «ادعوه»، فقال: «أضربته؟»، قال: سمعته بالسوق يحلف: والذي اصطفىٰ موسىٰ علىٰ البشر، قلت: أي خبيث، علىٰ محمد ﷺ، فأخذتني غضبة ضربت وجهه، فقال النبي ﷺ: **«لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسىٰ آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، أم حوسب بالصعقة الأولىٰ»**[٢].

وعنه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تخيروا بين الأنبياء»**[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: **«لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا**

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢١) ح ٢٤١٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٤٥) ح ٢٣٧٤.

خير من يونس بن متىٰ»(١).

فقد تعددت أقوال أهل العلم في الجمع بين الأدلة الدالة علىٰ المفاضلة بين الأنبياء وبين الأدلة التي يفهم منها النهي عن المفاضلة.

ولعل أقربها: أن النهي من النبي ﷺ متوجِّه للتفضيل الذي يؤدي إلىٰ تنقيص المفضول، أو أن النهي من باب تواضع النبي ﷺ لربه(٢).

وبهذا يتضح أن الأنبياء والرسل متفاضلون، والتفضيل إنما يكون من جهة الشرع.

فأفضلهم محمد ﷺ كما تقدم في خصائصه ﷺ، ثم بعده أولو العزم، وهم الذين جاء ذكرهم في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

قال ابن كثير: «فبدأ في هذه الآية بالخاتم؛ لشرفه -صلوات الله وسلامه عليه- ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم»(٣).

* * *

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٥٣) ح ٣٣٩٥.

(٢) انظر: معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٨٦) وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص١٨٢) ومنهاج السنة (٧/ ٢٥٦) ومجموع الفتاوىٰ (١٤/ ٤٣٦) وشرح الطحاوية (ص١٦١-١٦٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٨٢).

• **المسألة الرابعة: الرسل كلها متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة**

الرسل كلهم بعثوا بدين الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝١٤﴾ [فصلت: ١٤].

قال قتادة عند تفسيره لهذه الآية: «أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم» - قال أبو جعفر: أظنه أنا قال: «عمل - حتىٰ يقولوه ويقرّوا به، والشرائع مختلفة، في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له»[(١)].

وقال ابن تيمية: «الذي أنزله الله هو دين واحد اتفقت عليه الكتب والرسل، وهم متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة، وإن تنوعوا في الشرعة والمنهاج، بين ناسخ ومنسوخ، فهو شبيه بتنوع حال الكتاب الواحد»[(٢)].

فدين الإسلام هو دين الرسل كلهم:

قال تعالىٰ عن نوح: «﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٧٢﴾ [يونس: ٧٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٢٧).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٤٣٩).

﴿تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٣٢﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤﴾ [يونس: ٨٤].

وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسىٰ وعيسىٰ هل هم مسلمون أم لا؟

وهو نزاع لفظي؛ فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، المتضمن لشريعة القرآن - ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ، والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا.

وأما الإسلام العام، المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبيًّا من الأنبياء، فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء.[1]

والنبي ﷺ شبه الأنبياء بأنهم إخوة، وأبوهم واحد وهو: دين الإسلام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد»[2].

قال ابن القيم: «النبي ﷺ شبه دين الأنبياء الذين اتفقوا عليه من التوحيد، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان به، وبملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه: بالأب الواحد؛ لاشتراك جميعهم فيه، وهو: الدين الذي شرعه الله لأنبيائه كلهم فقال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

---

(١) انظر: التدمرية (ص ١٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦٧) ح ٣٤٤٣.

وقال البخاري في صحيحه: «باب ما جاء أن دين الأنبياء واحد» وذكر هذا الحديث.

وهذا هو دين الإسلام الذي أخبر الله أنه دين أنبيائه ورسله، من أولهم نوح إلىٰ خاتمهم محمد ﷺ فهو بمنزلة الأب الواحد.

وأما شرائع الأعمال والمأمورات فقد تختلف، فهي بمنزلة الأمهات الشتىٰ التي كان لقاح تلك الأمهات من أب واحد، كما أن مادة تلك الشرائع المختلفة من دين واحد متفق عليه»[1].

* * *

(١) بدائع الفوائد (٤/ ١٦٧).

• **المسألة الخامسة: القول في الرسل من غير الإنس.**

اختلف الناس في هذه المسألة علىٰ قولين:

القول الأول: الرسل يكونون من الجن.

نُسب إلىٰ الضحاك[1] ومقاتل[2]، واختاره ابن حزم[3].

واحتجوا بقول الله تعالىٰ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٠].

رسل منكم يعني: من الجن والإنس، فالله تعالىٰ ذكره أخبرَ أنَّ من الجن رسلًا أرسلوا إليهم، كما أخبر أن من الإنس رسلًا أرسلوا إليهم

واعترض علىٰ هذا: أن المراد: الرسل من أحد الفريقين، كما قال: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ [الرحمن: ١٩]، ثم قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح دون العذب منهما، وإنما معنىٰ ذلك: يخرج من بعضهما، أو من أحدهما[4].

ثم إنه إذا كانت الرسل من الإنس، وقد أُمرت الجن باتباعهم صح أن يقال للإنس والجن: ألم يأتكم رسل منكم.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ١٢١) حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيىٰ بن واضح قال، حدثنا عبيد بن سليمان قال، سئل الضحاك به. وفيه محمد بن حميد؛ قال عنه البخاري: «فيه نظر» وقال ابن حبان: «ينفرد عن الثقات بالمقلوبات» وكذبه أبو زرعة الرازي. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٣/ ٥٤٦).

(٢) حكاه عنه القرطبي في تفسيره، الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٨٦) من غير سند.

(٣) المحلىٰ (٦/ ١٩٦).

(٤) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٥٤)، وتفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (١٢/ ١٢٢).

ونظير هذا أن يقال للعرب والعجم: ألم يجئكم رسل منكم يا معشر العرب والعجم؟ فهذا لا يقتضىٰ أن يكون من هؤلاءِ رسل ومن هؤلاء[1].

القول الثاني: لم يكن له من الجنّ قطُّ رسول مرسل، وإنما الرسل من الإنس خاصَّة، فالجن منهم نذر.

نسب إلىٰ ابن عباس[2] وهو قول مجاهد[3] والفراء[4]، واختاره ابن أبي زمنين[5] وابن القيم[6] وابن كثير[7].

واحتجوا بقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

قال مجاهد: «الرسل من الإنس، والنذر من الجن، ثم قرأ ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾، وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ما سمعوا»

واحتجوا أيضًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يوسف: ١٠٩].

فهذه الآية تدل علىٰ أن الله لم يرسل جنيًّا؛ لقوله: ﴿رِجَالًا﴾.

واعترض علىٰ هذا: بتسمية الله الجن رجالًا في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ

---

(١) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٤١٧).

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (١٢/ ١٢١) وتفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٤/ ١٩١).

(٣) تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٤/ ١٩١).

(٤) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٥٤).

(٥) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ٩٨).

(٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٤١٧).

(٧) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٤٠).

﴿ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦].

وأجيب عن هذا: أن الله لم يطلق عليهم الرجال، بل هي تسمية مقيدة بقوله: ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ فهم رجال من الجن ولا يستلزم ذلك دخولهم في الرجال عند الإطلاق كما تقول: رجال من حجارة، ورجال من خشب ونحوه[1].

واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝١٦٣ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٦٥﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٦٥].

وقوله تعالىٰ عن إبراهيم: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

فحصر الله النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته، ولم يقل أحد من الناس: إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم ببعثته[2].

والحق في هذه المسألة: أنه ليس في الجن رسل، وإنما هم نذر للأدلة السابقة، ولأن القول بأن في الجن رسلًا قول شاذ لم يذهب إليه أحد من سلف الأمة، وما نسب للضحاك لا يصح من جهة السند.

فيكون القول بأن في الجن رسلًا قولًا محدثًا لا يجوز المصير إليه.

قال ابن القيم: «ولما كان الإنس أكمل من الجن وأتم عقولًا ازدادوا عليهم بثلاثة أصناف أُخر ليس شيء منها للجن، وهم: الرسل، والأنبياءُ والمقربون.

---

(١) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٤١٧).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٤٠).

فليس في الجن صنف من هؤلاءِ، بل حيلتهم الصلاح: وذهب شذاذ من الناس إلىٰ أن فيهم الرسل والأنبياءَ»[1].

* * *

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٤١٧).

• المسألة السادسة: هل من النساء نبية؟

الذي ذهب إليه أهل السنة والجماعة أنه ليس في النساء نبية.

قال ابن كثير: «الذي عليه أئمة أهل السنة والجماعة، وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عنهم: أنه ليس في النساء نبية، وإنما فيهن صديقات، كما قال تعالىٰ مخبرًا عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥] فوصفها في أشرف مقاماتها بالصديقية، فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام، فهي صديقة بنص القرآن»(١).

واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف: ١٠٩].

قال الطبري: «يقول تعالىٰ ذكره: وما أرسلنا، يا محمد، من قبلك إلا رجالا لا نساءً ولا ملائكة»(٢).

وخالف في ذلك: ابن حزم، وأبو عبد الله القرطبي.

قال ابن حزم بعد أن قرر نبوة النساء ومنهم مريم: «وَلَيْس قَوْله ﷻ: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ بمانع من أَن تكون نبية»(٣).

وقال القرطبي: «والصحيح أن مريم نبية»(٤).

واعترض علىٰ استدلال ابن حزم: أن الله وصفها في أشرف مقاماتها

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٢٣).

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان عن آي القرآن (١٦/ ٢٩٣).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ١٣).

(٤) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٨٣).

بالصديقة، فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام، فهي صديقة بنص القرآن[١].

قال ابن تيمية في الرد على ابن حزم: «وأبو محمد مع كثرة علمه وتبحُّره، وما يأتي به من الفوائد العظيمة: له من الأقوال المنكرة الشاذة ما يعجب منه كما يعجب مما يأتي به من الأقوال الحسنة الفائقة، وهذا كقوله: إن مريم نبية.

وقد ذكر القاضي أبو بكر، والقاضي أبو يعلىٰ، وأبو المعالي وغيرهم: الإجماع علىٰ أنه ليس في النساء نبية»[٢].

واحتجوا أيضًا: عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون**»[٣].

واعترض علىٰ الاستدلال: أنه لا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوة النساء؛ لأنه يطلق لتمام الشيء وتناهيه في بابه، فالمراد بلوغها النهاية في جميع الفضائل التي للنساء[٤].

وزعم بعضهم: أن سارة امرأة الخليل، وأم موسىٰ، ومريم أم عيسىٰ نبيات، واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وبقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وبأن الملك جاء إلىٰ مريم فبشرها بعيسىٰ عليه السلام، وبقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٢٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٩٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٢٩)ح ٣٧٦٩.

(٤) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٤٧).

وهذا القدر حاصل لهن، ولكن لا يلزم من هذا أن يكن نبيات بذلك[١].

والحق في هذه المسألة: ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أنه ليس في النساء نبية، والقول المخالف لهذا القول قول شاذ لا يجوز المصير إليه.

قال النووي بعد أن ساق نقلًا عن القاضي عياض: «وهذا الذي نقله من القول بنبوتهما - أي: آسيا ومريم - غريب ضعيف، وقد نقل جماعة الإجماع على عدمها»[٢].

وقال ابن تيمية: «فهذا قول شاذ لم يسبق إليه أحد من السلف»[٣].

* * *

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٢٣).

(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٩٩).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٩٦).

• **المسألة السابعة: الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالىٰ.**

إن الله أرسل رسله يبلغون الناس شرعه ووحيه، فلا معرفة للناس بشرع الله إلا عن طريق الرسل، فلو لم يكونوا معصومين فيما يبلغونه عن الله لما عرف شرع الله، ولما استقام للدين أمره.

قال ابن تيمية: «وهم معصومون في تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين»[١].

فالأنبياء والرسل معصومون من كل ما يقدح في نبوتهم: من الكذب، والخيانة، وغير ذلك.

ومعصومون أيضًا من الكفر والشرك والكبائر بالإحماع.

ومما يشهد لعصمتهم من الكفر والشرك: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

فهذه السورة جاءت بنفي عبادة النبي ﷺ للأصنام والشرك بالله في الماضي، والحال، والمستقبل.

قال ابن جرير الطبري: «﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألوك عبادة آلهتهم سنة، علىٰ أن يعبدوا إلهك سنة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ بالله ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الآلهة والأوثان الآن.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ الآن.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ﴾ فيما أستقبل.

﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ فيما مضىٰ.

---

(١) منهاج السنة (١/ ٤٧١).

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ﴾ فيما تستقبلون أبدًا ﴿مَآ أَعۡبُدُ﴾ أنا الآن، وفيما أستقبل»[١].

ولا يشكل علىٰ عصمتهم من الشرك قوله تعالىٰ في الأنبياء: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

فهاتان الآيتان في بيان أن الشرك لو صدر من الأنبياء، مع أن الشرك منهم ممتنع، لكن إذا قدر وجوده كان مستلزمًا لحبوط عمل المشرك ولو كان من أفضل الخلق.

وهذا لبيان عظم الشرك وخطورته[٢].

وأما عصمة الأنبياء من الكبائر فهذا قول أئمة السلف، وحُكي الإجماع عليه.

قال ابن عبد البر: «فمعلوم أنه ﷺ لم يُكَفر عنه إلا الصغائر؛ لأنه لا يأتي كبيرة أبدا، لا هو ولا أحد من الأنبياء؛ لأنهم معصومون من الكبائر -صلوات الله عليهم-»[٣].

وقال القاضي عياض: «فأجمع المسلمون علىٰ عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات»[٤].

---

(١) تفسير الطبري،جامع البيان عن آي القرآن (٢٤/ ٦٦١).

(٢) انظر: الاستغاثة (ص٢٣٤).

(٣) الاستذكار (٢/ ٤٩٦).

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ (٢/ ٣٢٧).

وقال المازري: «الأنبياء معصومون من الكبائر بالإجماع»[(١)].

◆ وتنازع العلماء هل تصدر منهم الصغائر أو لا؟.

القول الأول: وقوع الصغائر من الأنبياء.

قال القاضي عياض: «وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم علىٰ الأنبياء، وهو مذهب أبي جعفر الطبري، وغيره من الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين»[(٢)].

واحتج القائلون بوقوع المعاصي من الأنبياء: بمعصية آدم لما أكل من الشجرة التي نهاه الله؛ قال تعالىٰ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه: ١٢٠ - ١٢١].

فسماها الله معصية.

وكذلك معصية نبي الله موسىٰ عليه السلام قال تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [القصص: ١٥].

والقول الذي عليه جمهور الناس، وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف: وقوع الصغائر من الأنبياء مع إثبات العصمة من الإقرار عليها مطلقا[(٣)]

قال ابن قتيبة: «يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوبًا،

---

(١) ذكره ابن حجر في الفتح (٨/ ٦٩).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ﷺ (٢/ ١٤٤).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٩٣).

ويحملهم التنزيه لهم -صلوات الله عليهم-، علىٰ مخالفة كتاب الله -جلّ ذكره-، واستكراه التأويل، وعلىٰ أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة التي لا تخيل عليهم، أو علىٰ من علم منهم- أنّها ليست لتلك الألفاظ بشكل، ولا لتلك المعاني بلفق»(١).

وحجج النفاة لا تدل علىٰ وقوع ذنب أقر عليه الأنبياء.

القول الثاني: الأنبياء معصومون من الصغائر.

قال ابن حزم: «فَسقط قَول من نسب إِلَىٰ الْأَنْبِيَاء ﷺ شَيْئًا من الذُّنُوب بالعمد صغيرها وكبيرها»(٢).

قال ابن حجر: «والراجح عصمتهم من الصغائر أيضًا»(٣).

واحتجوا: بأن التأسي بالأنبياء مشروع، وذلك لا يجوز ولا يستقيم مع تجويز وقوع الذنوب منهم(٤).

واعترض عليه: أن التأسي بهم إنما هو مشروع فيما أقروا عليه دون ما نهوا عنه، ورجعوا عنه، كما أن الأمر والنهي إنما تجب طاعتهم فيما لم ينسخ، فأما ما نسخ من الأمر والنهي فلا يجوز جعله مأمورًا به، ولا منهيًّا عنه، فضلًا عن وجوب اتباعهم فيه.

واحتجوا أيضًا: أن الذنوب تنافي الكمال، أو أنها توجب التنفير، أو نحو ذلك.

واعترض عليه: هذا إنما يكون مع البقاء علىٰ الذنب، وعدم الرجوع،

(١) تأويل مشكل القرآن (ص٢٣٠).
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٢٣).
(٣) فتح الباري (١١/ ١٠١).
(٤) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ﷺ (٢/ ١٤٥).

وإلا فالتوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلىٰ أعظم مما كان عليه.[١]

والله سبحانه لم يذكر في القرآن شيئًا من الذنوب التي وقع فيها الأنبياء إلا مقرونة بالتوبة والاستغفار.

قال تعالىٰ عن آدم وزوجه لما أكلا من الشجرة: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال تعالىٰ عن موسىٰ لما قتل نفسًا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: ١٦].

وقال تعالىٰ عن داود: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤ - ٢٥].

فإن أصحاب هذا القول توهموا أن الذنوب تكون نقصًا وإن تاب التائب منها.

وهذا منشأ غلطهم فمن ظن أن صاحب الذنوب مع التوبة النصوح يكون ناقصا فهو غالط غلطًا عظيمًا، فإن الذم والعقاب الذي يلحق أهل الذنوب لا يلحق التائب منه شيء أصلًا.

والأنبياء -صلوات الله عليهم وسلامه- كانوا لا يؤخرون التوبة؛ بل يسارعون إليها ويسابقون إليها؛ لا يؤخرون ولا يصرون علىٰ الذنب بل هم معصومون من ذلك، ومن أخر ذلك زمنا قليلا كفر الله ذلك بما يبتليه به[٢].

وممن قال بعصمة الأنبياء من الصغائر: الرازي الأشعري، وتأول النصوص علىٰ غير وجهها، فقال: «والذي ينبغي للمحصل أن يعتمده: أن كل ذلك إما أن

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٩٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٣٠٩).

يكون واقعًا قبل النبوة، أو كان تركًا للأولىٰ، أو كان نسيانًا، أو كان محمولًا علىٰ ذنوب أمته»[١].

وقوله هذا **مخالف** لقول إمامه القاضي أبي بكر الباقلاني، فإنه يرىٰ جواز صدور الصغائر من الأنبياء[٢].

وكذلك مخالف لقول الجويني، فقد قال: «الأغلب علىٰ الظن عندنا جوازها، وقد شهدت أقاصيص الأنبياء في آي من كتاب الله تعالىٰ علىٰ ذلك»[٣]

وأما الآمدي فقال: «وأما ما ليس بكبيرة: فإما أن يكون من قبيل ما يلحق فاعله بالأراذل، والسفل، والحكم عليه بالخسة ودناءة الهمة، وسقوط المروءة، كسرقة حبة، أو كسرة، ونحوه، فالحكم فيه حكم الكبيرة.

وأما ما لا يكون من هذا القبيل: كنظرة، أو كلمة سفه نادرة في خصام، ونحو ذلك، فهذا مما اتفق أكثر أصحابنا وأكثر المعتزلة علىٰ جوازه عمدا أو سهوا، خلافًا للشيعة...

وبالجملة: فالكلام فيما ليس بكبيرة، ولا هو نازل منزلة الكبيرة نفيًا وإثباتًا غير بالغ مبلغ القطع، بل هو من باب الظنون والاجتهادات، والاعتماد فيه إنما هو علىٰ ما يساعد من الأدلة الظنية...

بيان ما قيل في عصمة الأنبياء عن تعمد الصغائر التي لا يلحق فاعلها بالأخسَّاء الأراذل، كما سبق تحقيقه.

وقد احتج أصحابنا بحجج كثيرة...»[٤]

---

(١) الإشارة في علم الكلام (ص٣٧٠).

(٢) الإشارة في علم الكلام (ص٣٦٨).

(٣) الإرشاد (ص٣٥٧).

(٤) أبكار الأفكار (٤/ ١٤٥-١٥٠).

لكن مما يجب التنبيه عليه: أن مأخذ الأشاعرة القائلين بنفي العصمة عن الأنبياء من الصغائر ليس هو مأخذ أهل السنة والجماعة.

فإن الأشاعرة ذهبوا إلىٰ أن العقل لا يوجب عصمة النبي إلا في التبليغ خاصة؛ لأن هذا هو مدلول المعجزة، وما سوىٰ ذلك إن دل السمع عليه، وإلا لم تجب عصمته منه.

وهذا مبني علىٰ كلامهم في النبوة، فالنبوة عندهم مدارها **علىٰ الوحي**، فمجرد إعلامه بما أوحاه الله يكون نبيًّا، فليست النبوة عندهم صفة ثبوتية، ولا مستلزمة لصفة يختص بها، بل هي من الصفات الإضافية.

فليست النبوة إلا مجرد إنباء الله للعبد، وهو تعلق كلامه به.

وقد تقدم بيان هذه المسألة.

* * *

• **المسألة الثامنة: هل الرسل معصومون قبل النبوة.**

إن الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الأنبياء والرسل غير معصومين قبل النبوة، وليس في هذا ما ينفر من القبول منهم.

فمن نشأ بين قوم مشركين لم يكن عليه نقص إذا كان علىٰ دينهم.

ويشهد لهذا قوله تعالىٰ عن شعيب: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٨٨ - ٨٩].

قال أبو العباس ابن تيمية: «ظاهره دليل علىٰ أن شعيبًا والذين آمنوا معه كانوا علىٰ ملة قومهم؛ لقولهم: ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ ولقول شعيب: نعود فيها ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

ولقوله: ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم ﴾.

فدل علىٰ أنهم كانوا فيها.

ولقوله: ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ﴾.

فدل علىٰ أن الله أنجاهم منها بعد التلوث بها.

ولقوله: ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ولا يجوز أن يكون الضمير عائدا علىٰ قومه؛ لأنه صرح فيه بقوله: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ ﴾ ولأنه هو المحاور له بقوله: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ إلىٰ آخرها»[1].

ونفي العصمة قبل النبوة لا يقدح في نبوتهم واصطفائهم.

قال ابن تيمية: «الله سبحانه إنما يصطفي لرسالته من كان خيار قومه حتىٰ في

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٢٩).

النسب، كما في حديث هرقل.

ومن نشأ بين قوم مشركين جهال لم يكن عليه نقص إذا كان علىٰ مثل دينهم، إذا كان معروفًا بالصدق والأمانة، وفعل ما يعرفون وجوبه، وترك ما يعرفون قبحه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

فلم يكن هؤلاء مستوجبين العذاب، وليس في هذا ما ينفر عن القبول منهم؛ ولهذا لم يذكره أحد من المشركين قادحًا»(١).

وخالف في هذا المعتزلة، فالأنبياء عندهم معصومون من الكبائر قبل البعثة.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: «لا يجوز علىٰ الأنبياء الكبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها، خلافا لما يقوله أهل الحشو»(٢).

وكذلك ابن حزم حيث قال: «فبيقين ندري أن الله تعالىٰ عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة»(٣).

وأما الأشاعرة فيقول الآمدي: «أما قبل النبوة: فقد قال القاضي أبو بكر: لا يمتنع عقلًا ولا سمعًا أن يصدر من النبي قبل موته معصية، وسواء كانت صغيرة أو كبيرة؛ إذ لا دلالة للمعجزة علىٰ عصمته فيما قبل ظهورها علىٰ يده، بل ولا يمتنع عقلًا إرسال من أسلم بعد كفره، ووافقه عليه أكثر أصحابنا، وكثير من المعتزلة.

وقالت الروافض وأكثر المعتزلة: لا يجوز أن يبعث الله تعالىٰ من صدر منه كبيرة وإن تاب منها؛ لأن ذلك مما يوجب في النفوس بغضه، واحتقاره، والنفرة عن اتباعه، وهو خلاف ما تقتضيه الحكمة من رعاية الصلاح والأصلح.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٥/ ٣٠).

(٢) شرح الأصول الخمسة (ص ٥٧٣).

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٢٥).

والأصح ما ذكره القاضي»[١].

ومما ينبغي التنبيه إليه: أنه يظهر مما تقدم الجواب عن شبهة، وهي: أن الله لا يبعث نبيًّا إلا من كان معصومًا قبل النبوة، كما يقول ذلك طائفة من الرافضة وغيرهم.

وكذلك من قال: لا يبعث الله نبيًّا إلا من كان مؤمنًا قبل النبوة[٢].

* * *

---

(١) أبكار الأفكار (٤/ ١٤٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٠٩).

• **المسألة التاسعة: الأنبياء والرسل ينقسمون إلىٰ عبد رسول، ونبي ملك.**

إن أنبياء الله منهم من كان نبيًّا ملكًا، ومنهم من كان عبدًا رسولًا، والعبد الرسول أفضل من الملك النبي؛ وذلك أن من كان عبدًا رسولًا لا يتصرف إلا بأمر الله.

وأما من كان نبيًّا ملكًا فيتصرف بما يحبه ويختار من غير إثم عليه.

ومما يدل علىٰ هذا الانقسام ما يأتي:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «جلس جبريل إلىٰ النبي ﷺ ، فنظر إلىٰ السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق، قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك ، أفملكًا نبيًّا يجعلك، أو عبدًا رسولًا؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: «**بل عبدًا رسولًا**»[1].

قال ابن تيمية: «العبد الرسول أكمل من النبي الملك، ويوسف وداود وسليمان أنبياء ملوك.

وأما محمد ﷺ فهو عبد رسول، كإبراهيم، وموسىٰ، والمسيح، وهذا الصنف أفضل، وأتباعهم أفضل»[2].

وقال: «انقسام الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلىٰ عبد رسول، ونبي ملك.

وقد خير الله سبحانه محمدًا ﷺ بين أن يكون عبدًا رسولًا، وبين أن يكون نبيًّا ملكًا، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا.

فالنبي الملك مثل: داود، وسليمان ونحوهما -عليهما الصلاة والسلام- قال

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٢/ ٧٧)ح ٧١٦٠ قال الألباني: «وهذا إسناد صحيح علىٰ شرط مسلم» السلسلة الصحيحة (٣/ ٤).

(٢) النبوات (١/ ١٨٣).

الله تعالىٰ في قصة سليمان الذي ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ [ص: ٣٤ - ٣٩].

أي: أعط من شئت، واحرم من شئت، لا حساب عليك.

فالنبي الملك يفعل ما فرض الله عليه، ويترك ما حرم الله عليه، ويتصرف في الولاية والمال بما يحبه ويختار من غير إثم عليه.

وأما العبد الرسول فلا يعطي أحدًا إلا بأمر ربه، ولا يعطي من يشاء ويحرم من يشاء»[1].

* * *

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ١٨٠-١٨١).

الخاتمة

الحمد لله علىٰ توفيقه. والشكر له علىٰ تيسيره وتسديده، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

✍ وبعد:

فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

١- اتفاق العلماء علىٰ التفريق بين الرسول والنبي، وأن الرسالة أعم من جهة نفسها، أخص من جهة أهلها.

٢- أن الكفر بالرسل ينافي الإقرار بالرب.

٣- الإيمان بالرسل يكون مجملًا ومفصلًا.

٤- مما يدخل في الإيمان بالرسل: تصديقهم فيما أخبروا، وإيجاب طاعتهم فيما أوجبوا.

٥- التفريق والتبعيض في الإيمان بالرسل يكون في القدر تارة، ويكون في الوصف أخرىٰ.

٦- الناس متفاوتون في الإيمان المفصل بحسب ما بلغهم من العلم.

٧- الإيمان بالرسل يكون بالاعتقاد والقول والعمل.

٨- يجب الإيمان بالرسل جميعا من غير حصر بعدد معين.

٩- الخضر نبي من الأنبياء.

١٠- النبوة حقيقتها تشتمل أمرين: وحي الله، وأمره بتبليغ ذلك الوحي إلىٰ الناس.

١١ - لإثبات النبوة طرق متعددة، ودلائل متنوعة، ليست منحصرة في طريق معين كما ذهب إلىٰ ذلك أهل الكلام.

١٢ - الشرطان الصحيحان في المعجزة: اختصاصها بالنبي، وسلامتها من المعارضة.

١٣ -أصل الإيمان والتقوىٰ هو: الإيمان بالرسل.

١٤ - الأنبياء أفضل من كل البشر.

١٥ - ليس في الجن رسل، وإنما هم نذر، والقول بأن في الجن رسلا قول شاذ لم يذهب إليه أحد من سلف الأمة.

١٦ - ليس في النساء نبية.

١٧ - إثبات العصمة للأنبياء من الإقرار علىٰ الذنوب مطلقًا.

١٩ - الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الأنبياء والرسل غير معصومين قبل النبوة، وليس في هذا ما ينفر من القبول منهم.

٢٠ - الأنبياء ينقسمون إلىٰ عبد رسول، ونبي ملك.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع

- أبكار الأفكار في أصول الدين، سيف الدين الآمدي، تحقيق أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ
- الأربعين في أصول الدين، أبو عبد الله الرازي، تحقيق أحمد حجازي، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٦هـ
- الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، أبو المعالي الجويني، من كتب الأشاعرة، تحقيق محمد يوسف موسىٰ وعلىٰ عبد الحميد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ
- الاستذكار، أبو عمر ابن عبد البر،تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ
- الإشارة في علم الكلام، الرازي، تحقيق هاني محمد، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث
- أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٣هـ
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦هـ
- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق علي حسن، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤هـ

• الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق مشهور حسن، الدار الأثرية، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ

• إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١١هـ

• الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٤ هـ

• الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبو بكر الباقلاني، تحقيق عماد الدين حيدر، عالم الكتب، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٧هـ

• بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان

• البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨ هـ

• البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات، القاضي أبو بكر الباقلاني

• التدمرية، ابن تيمية، المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ

• تعظيم قدر الصلاة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي ، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٦

• تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ

• تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن

إبراهيم الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢، هـ

• تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري ، حققه: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ

• تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفىٰ الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة ، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ

• تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ

• تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية ، ١٣٨٤هـ

• التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧ هـ

• تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، تعليق إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ ١٤٢١هـ

• جامع الترمذي، محمد بن عيسىٰ الترمذي، علق عليه محمد ناصر الدين الألباني، اعتنىٰ به مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الطبعة الأولىٰ

• الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق عبد العلي حامد، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ

• الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. علي الألمعي ود. عبد العزيز العسكر ود.حمدان الحمدان، دار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ

• درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الثانية ١٤١١هـ

• الزهر النضر في خبر الخضر، ابن حجر، المحقق: صلاح مقبول أحمد، مجمع البحوث الإسلامية الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ

• سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ

• شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق د. أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، الطبعة السابعة ١٤٢٢هـ

• شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار المعتزلي، من كتب المعتزلة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ

• شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة التاسعة ١٤٠٨هـ

• شرح مختصر الروضة، المؤلف: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي،: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ

• الشريعة، الآجري، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن - الرياض / السعودية،الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ

• الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ، القاضي عياض، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤٠٩ هـ

• صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر،: دار طوق النجاة الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ

• صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج ،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت

• صريح السنة، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أكرم ين محمد الفالوجي، دار ابن عفان، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦هـ

• الصواعق المرسلة، ابن القيم، لمحقق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية،الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ

• طبقات الشافعية، تقي الدين السبكي، تحقيق محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ

• طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ

• العقيدة النظامية في الأركان الاسلامية، أبو المعالي الجويني، تحقيق محمد زاهر الكوثري، المكتبة الأزهرية، ١٤١٢هـ

• غاية المرام في علم الكلام، سيف الدين الآمدي، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤هـ

• العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها، محمد بن

أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق عبد الله بن صالح البراك، دار الوطن، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ

• غاية المرام في علم الكلام، علي بن أبي علىٰ الآمدي، من كتب الأشاعرة، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٤هـ

• فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ

• الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، مكتبة الخانجي - القاهرة

• قواطع الأدلة في أصول الفقه، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق عبد الله بن حافظ بن أحمد حكمي، مكتبة التوبة، الطبعة الأولىٰ ١٤١٩هـ

• لسان العرب، محمد بن مكرم بن علىٰ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري ، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

• مجموع الفتاوىٰ، شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم وساعده محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١٤١٦هـ

• مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية، علّق عيه محمد رشيد رضا، لجنة التراث العلمي.

• المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت،الطبعة: الأولىٰ - ١٤٢٢ هـ

• محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين، الرازي،

تحقيق حسين آتاي، مكتبة دار التراث، الطبعة الأولىٰ ١٤١١هـ

• المحلىٰ بالآثار، ابن حزم، دار الفكر - بيروت

• مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق الحسن العلوي، أضواء السلف، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥هـ

• مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ

• المطالب العالية من العلم الإلهي، الرازي، دار الكتب العلمية

• مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط١٤٢٠هـ

• لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، أبو المعالي الجويني، تحقيق د. فوقية حسين، عالم الكتب، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

• مدارج السالكين، ابن القيم، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ

• مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ

• الملل والنحل، الشهرستاني، من كتب الأشاعرة، دار مكتبة المتنبئ، الطبعة الثانية ١٩٩٢هـ

• معاني القرآن، الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولىٰ

• المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار المعتزلي، تحقيق محمود محمد سالم

• مقاييس اللغة، ابن فارس، لمحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر،عام النشر: ١٣٩٩هـ

• منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، طبعت بجامعة الإمام، الطبعة الثانية ١٤١١هـ

• المواقف، الإيجي، المحقق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - لبنان - بيروت،الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧هـ

• النبوات، أبو العباس ابن تيمية، تحقيق عبد العزيز الطويان، مطبوعة في الجامعة الإسلامية.

• نهاية الإقدام في علم الكلام، عبد الكريم الشهرستاني، مكتبة الثقافة الدينية

• نقض عثمان بن سعيد علىٰ المريسي الجهمي العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله في التوحيد، تحقيق منصور السماري، أضواء السلف، الطبعة الأولىٰ ١٤١٩هـ

• هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد أحمد الحاج، الناشر: دار القلم، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٦هـ

* * *

فهرس الموضوعات

* * *